

# في الشعر الجاهلي

---

تأليف

طه حسين

أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية

DORST LIBRARY



3 1142 02070 3891

NOT RECORDED  
11/1/12

11/1/12



*mohamed khatab*

Bobst



New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

DUE DATE

DUE DATE

**DUE DATE**  
JAN 29 2005  
NOV 06 2006  
OCT 31 2006

BOBST LIBRARY  
CIRCULATION

**DUE DATE**  
APR 18 2008  
APR 18 2007  
**RETURNED**  
BOBST LIBRARY  
CIRCULATION

Due 01/18/2012  
11:00 PM  
Floor 502007 at  
Jahsh  
3114202070000  
**BOBST LIBRARY**  
Bobst Library



# في الشعر الجاهلي

---

تأليف

طه حسين

أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية

---

[ الطبعة الأولى ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٦ - ١٣٤٤ هـ

PJ

7541

.T3

1926

---

(حقوق الطبع محفوظة)

---

# في الشعر الجاهلي

---





الى حضرة صاحب الدولة  
عبد الخالق ثروت باشا

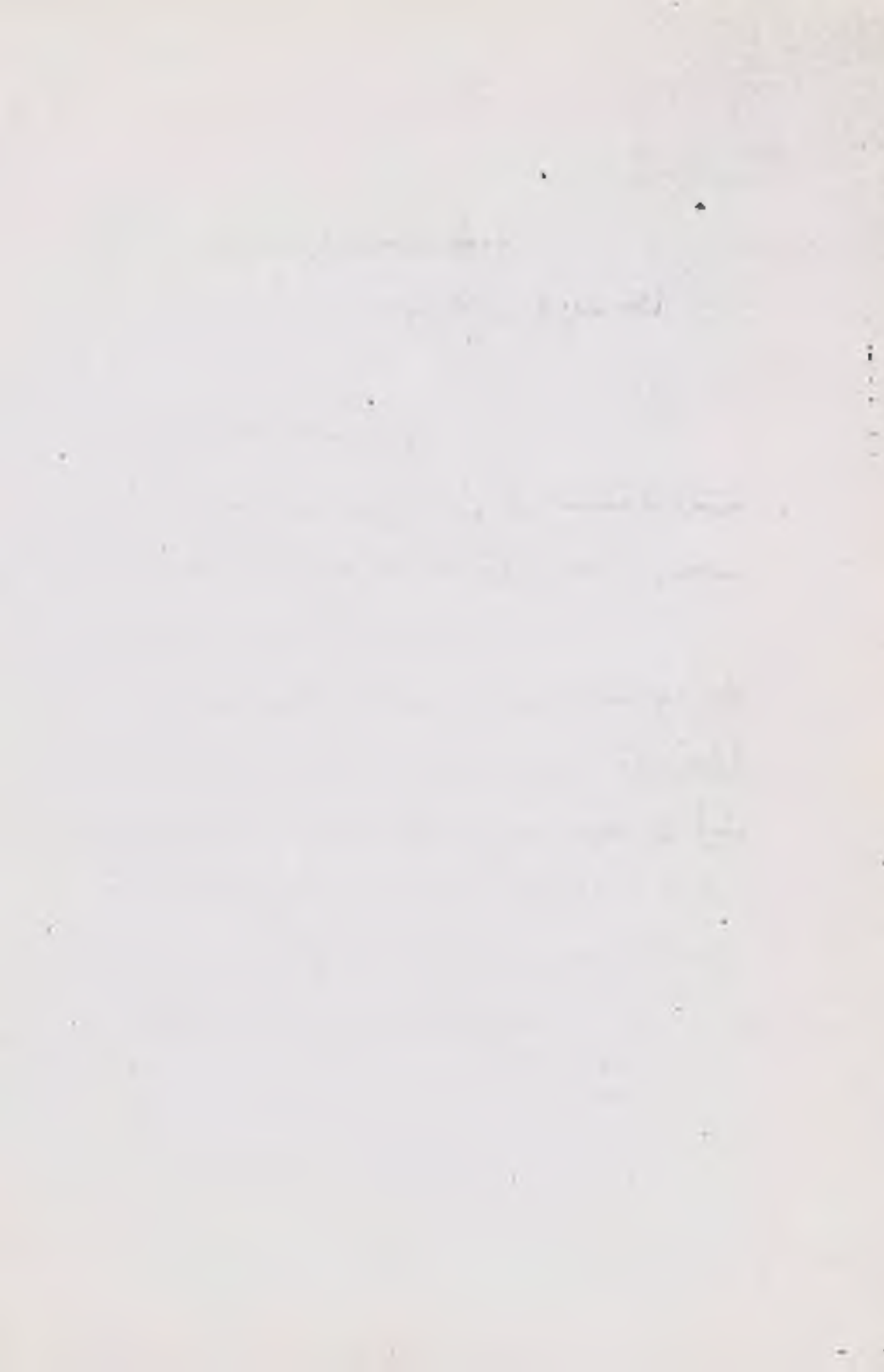
سيدي صاحب الدولة

كنت قبل اليوم أكتب في السياسة، وكنت  
أجد في ذكرك والإشادة بفضلك، راحة نفس تحب  
الحق، ورضا ضمير يحب الوفاء .

وقد انصرفت عن السياسة وفرغت للجامعة، وإذا  
أنا أراك في جلسها كما كنت أراك من قبل، قوى  
الروح، ذكى القلب، بعيد النظر، موفقا في تأييد  
المصالح العلمية توفيقك في تأييد المصالح السياسية .  
فهل تأذن لي في أن أقدم اليك هذا الكتاب  
مع التحية الخالصة والاجلال العظيم ؟

طه حسين

٢٢ مارس سنة ١٩٢٦



## الفهرس

### الكتاب الأول :

صفحة

- ( ١ ) تمهيد ... .. ١
- ( ٢ ) منهج البحث ... .. ١١
- ( ٣ ) مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تتحس في القرآن
- لا في الشعر الجاهلي ... .. ١٥
- ( ٤ ) الشعر الجاهلي واللغة .. .. ٢٤
- ( ٥ ) الشعر الجاهلي واللهجات ... .. ٣١

### الكتاب الثاني — أسباب أئتحال الشعر :

- ( ١ ) ليس الائتحال مقصورا على العرب ... .. ٤٢
- ( ٢ ) السياسة وأئتحال الشعر ... .. ٤٧
- ( ٣ ) الدين وأئتحال الشعر ... .. ٦٩
- ( ٤ ) القصص وأئتحال الشعر ... .. ٩٠
- ( ٥ ) اشعوبية وأئتحال الشعر ... .. ١٠٦
- ( ٦ ) الرواة وأئتحال الشعر .. .. ١١٨

## الكتاب الثالث — الشعر والشعراء :

- صفحة  
 ( ١ ) قصص وتاريخ .. .. ١٢٥  
 ( ٢ ) امرؤ القيس . عبيد . عاصمة .. ١٣٢  
 ( ٣ ) عمرو بن ميثلة . مهلهل . حليمة .. ١٥٤  
 ( ٤ ) عمرو بن كلثوم . الحارث بن حلزة .. ١٦٤  
 ( ٥ ) طرفة بن العبد . المتألمس .. .. ١٧٣
-

# الكتاب الأول

١

## تمهيد

هذا، نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي حديثاً، لم يألوه  
أحد من عندنا من قبل، وأكاد أتيقن بأن فريما منهم سيقفونه مخططين  
عليه، وبأن فريما آخر سيروّون عنه آروراراً، ولكني على سخط  
أولئك وآرورار هؤلاء، أريد أن أدمع هذا البحث، أو بمباراة أصح أريد  
أن أقفده، فقد أدعته قبل ليوم حين تحدثت به إلى طلابي في الجامعة،  
وليس سرا ما تحدثت به إلى أكثر من مائتين.

ولقد اقمعت نتائج هذا البحث اقتناعاً ما أعرف أنني شعرت بمثله  
في تلك المواقف المختلفة التي وقعت، من تاريخ الأدب العربي، وهذا  
الاقتناع أقوى هو لدى يحملي على تقييد هذا البحث ونشره في هذه  
المفصول، غير حاول تسحيط الساحظ ولا مكثرت آرورار المروّز.  
وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسيحط قومه، وشق على آخريه،  
فسيروى هذه الطائفة القليلة من المستثيرين الذين هم في حقيقة الأمر  
عدّة المستقبل وقوام النهضة ودر الأديب الجديد.

ولقد تناول الدس مسد حين مسألة القدم والجديد ، وشذ في  
 المحاح بينهم ، وحيل أن بعضهم به يستطيع أن ينص فيها بين المتخصصين .  
 ولكني أعتقد أن المتخصصين أنفسهم لم يتناولوا المسألة من جميع  
 أطرافها ، فهم لم يكادوا يتحورون فوق الأدب التي يتعاطها الناس  
 من ثروهم ، والأساليب التي يصطع في هذه العيون والمعاني ،  
 واللفظ التي يعهد لها الكاتب أو الشاعر حين يريد أن يتخسنت  
 إلى الدس معوطف نفسه أو شأخ عقله . ولكن للمسألة وحدها حر  
 لا يتناول الفن الكنى أو شمرى ، وإنما يتناول البحث العلمى عن  
 الأدب وتاريخ فنونه .

نحن بين اثنين : إما أن نضل في الأدب وريجه ، أو نضل القدماء ،  
 لا تناول ذلك من لفة إلا هذا مقدار اليسير الذى لا نخلومه كل  
 بحث والذى يتبع لنا أن نتول أخطاء الأصمى أو ضاب ، ووفق  
 أو عبدة أو ، يوفق ، واهتدى سكتى أو ضل لطريق ، وإما أن  
 نضع علم لمقدمين كله موضع البحث ، فقد أنيب . فليست أريد  
 أن أقول البحث وإما أريد أن أقول الشئ . أريد ألا نضل شيئاً  
 مما قال القدماء في الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وتثبت إن لم ينهيا  
 في ليين فقد يتبين أن برحمان .

والمرق بين هذين المذهبين في البحث عظيم ، وهو انعزق بين الإيكون  
 الهى سمع على الأطمشان والرص ، واشتكت الذى يبعث على القلق  
 ولاصطرب وينهى في ككهم من الأحيون إلى الإنكار ونخلود .

المذهب الأول يدع كل شيء حيث تركه القدماء لا يباه بتغيير ولا  
تبديل ولا يسه في حملته وتفصيله إلا ساروق . أما المذهب الثاني  
فيقلب العلم القديم رأسا على عقب . وأحسنى إن لم يمنع أكثره أن يحو  
منه شيئا كثيرا .

ولندع هذا النحو من الكلام العام ولو صح . يريد أن يقول شيئا  
من الأمثلة :

من يدينا مسألة الشعر الخ هي يريد أن يدرسها وينتهي بها إلى  
الحق . فأما أنصار القديم فالطريق ما هم وصحة معنده . والأمر  
عليهم سهل يسير . أسس قد أجمع القدماء من علماء الأمصار في العرب  
وأشام وفارس ومصر والأندلس على أن طائفة كثيرة من الشعراء  
قد عاشت قبل الإسلام وقالت كثيرا من الشعر . ليس قد أجمع هؤلاء  
العلماء أنفسهم على أن هؤلاء الشعراء علماء معروفه مخصوصة ومصنوعة  
يفلها الناس ولا مكادون يحفظون فيها . ليس قد أجمع هؤلاء  
العلماء على أن هؤلاء الشعراء مهذرا من القصائد والمتنوعات حفظه  
عنهم روايتهم ولا سبهم أسس . حتى جاء عصر السدوين فدخل  
في الكسب وبقى منه ما شاء الله أن يبقى إلى أيامنا . ودا كان العلماء  
قد أجمعوا على هدم كل فرووان أسس الشعراء وصنعوها وبطلوا آيات  
آثار الشعراء وفسروها . فلم يبق إلا أن نحدد عنهم ما قاتلوا وصيب به  
مطمئنين إليه . قد لم يكن لأحد يد من أن يبحث ويحقق ويتحقق  
هو نسطم هذا دون أن نحاور مذهب أنصار القديم . والعلماء قد

اختلفوا في الرواية بعض الاختلاف وماوتوا في التصيط بعض التفاوت .  
فلو ان بينهم ولم يجمع رواية على رواية وسؤر صسطا على صسط ، وللقن .  
أصاب البصريون وأحط الكوفيون ، أو وفق المترد ولم يوفق نعلب .  
لذهب في الأدب ومثبه مذهب انفسها ، في الفقه بعد أن أعقب باب  
الاختلاف : هذا مذهب أنصار القديم ، وهو المذهب الدائع في مصر ،  
وهو المذهب الرسمي أيضا ، منست عليه مدارس الحكومة وكسب ومناهجها  
على ما بينها من تفاوت واختلاف .

ولا يدعى أن تحدثت هذه الأقسام المستعمدة في لأدب ، ولا هذ  
الحق من التلعب الذي يقسم تاريخ الأدب إلى عصور ، ويحاول أن  
يدخل فيه شئ من الترتيب والسطيم ، فذلك كله عناية بالمشور  
والأشكال لا بحس لأدب ولا لموضوع . فبال العرب يقسمون  
إلى ثلاثة وافية ، وى عربية ومسنمة . وما زال أولئك من حرمهم ،  
وهؤلاء من ولد إسماعيل ، وما زال امرؤ لفس صاحب "فما ست"  
وطرفة صاحب "خولة أطلال" وعمرو صاحب "كثثوم صاحب  
"ألا هي" . وما زال كلام العرب في جاهلية ، وسلامها يقسم إلى  
شعروثر . وثر يقسم إلى مرسل ومسجوع ، إلى آخر هذا الكلام  
الكثير الذي يُرعه أنصار القديم فيما يصنعون من كتب وما يقنون على  
التلاميذ والطلاب من دروس .

هم لم يمترو في الأدب شيئا . وما كان لهم أن يغيروا فيه شيئا  
وقد أخذوا أنفسهم بالاطمئنان إلى ما قال القدماء وأعلقوا على أنفسهم



في الأدب باب الاجتهاد كما أغصه الفناء في العقه ولتكمول  
في الكلام .

وأما انصار الحديد ، فالطريق أمامهم معوجة ملتوية ، تقوم فيها  
عقاب لا تكاد تحصى ، وهم لا يكادون يمشون إلا في أناء وريث هما  
إلى البعد أقرب منهما إلى السرعة ، ذلك أنهم لا يأخذون أنفسهم  
بزيين ولا تطمئن ، أو هم يزدرون هدي الزين والاصطناع ، فقد  
خلق الله لهم عقولا تعد من اشك لذة وفي التيق والاضطراب رصا .  
وهم لا يريدون أن يحصوا في تاريخ الأدب خطواته حتى يتبدوا موضعها .  
وسوء عليهم وانصروا انهم وانصار تقدم أم كان بينهم وبينه شدة  
الخلافا .

هم لا يطمئنون إلى ، بل انهم ، وانما بالقوة لا بخطط واشت .  
ولعل أشد ما يملكونه اشت حين يحاذون من القدماء نقه وصحاشا .  
هم يرددون أن يدرسوا مسألة الشعر الحقيق فيتحاولون إخراج القدماء  
على ما أجمعوا عليه ، وينسبواون أنهمك شعر حقيق " فإن كان هناك  
شعر حقيق في السيل إلى معرفه " وم هو " وما مقداره " وهم يتتر  
من غيره " ويمصون في صائفة من الأسئلة يتخرج عليها إلى روية وأدة  
والى جهود الخناعات العنسية لا إلى جهود الأفراد . هم لا يعرفون أن  
اعرب ينقسمون إلى نافقة وبندة ، وعارية ومستعمرة ، ولا أن أولئك  
من جرهم ، وهؤلاء من ولد إسماعيل ، ولا أن امرئ القيس وطرفة

واين كلثوم قالوا هذه المطولات ، ولكنهم يعرفون أن القدماء كانوا يرون ذلك . ويريدون أن يتنبؤوا أكان القدماء مصيبين أم مخطئين ؟  
والنتائج للارمة لهذا المذهب الذى يدهه المتحدون عظمة حلبة  
الخطر ، هى ان الثورة الأدسة أقرب منه الى أى شىء آخر .  
وحسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينا ، وقد يتحدثون ما أجمع  
الناس على أنه حق لا شك فيه .

وليس حظ هذا المذهب متبيا عند هذا الحد ، بل هو يحاوره  
الى حدود أخرى أعده منه مدى وأعظم أثرا . فهم قد يتنبؤون الى تعبير  
التاريخ أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ . وهم قد يتنبؤون الى الشك  
فى أشياء لم تكن يساح الشك فيها . وهم بين اثنين إما أن يتحدثوا  
أنفسهم ويحددوا العلم وحقوقه فيربحوا ويستريحوا ، وإما أن يعرفوا  
لأنفسهم حقا ، يؤذوا للعلم واحده ، فيتعرضوا لما يسعى أن يتعرض  
له العلماء من الأذى ويحتموا ما يسعى أن يحتمله العلماء من سخط  
الساخطين .

ولست أرعم أى من العلماء . ولست أتمتع بأنى أحب أن  
أعرض للأذى . ورعما كان لحو أنى أحب الحياة الهادئة المطمئنة  
وأريد أن أتدوى لدات العيش فى دعة ورضا . ولكى مع ذلك أحب  
أن أفكر ، وأحب أن أبحث ، وأحب أن أعلل الى الناس ما أنتهى  
اليه بعد البحث والتفكير . ولا أكره أن آخذ نصيبى من رضا الناس

عنى أو سخطهم على حين أعلن اليهم ما يحسون أو ما يكرهون . وادن  
ولأعمد على الله . ولأحدثت مع أحب أن أحدثك به في صراحة  
وأمانة وصدق . ولأحتب في هذا . حدث هذه الطرفة التي يسلكتها  
المهتر من سكتاب ليدخلوا على الناس مما ينفوا في رفق وأناة ونهى  
من الاحتياط كثير .

وأول شيء أخذك به في هذا الحديث هو أن سككت في قمة  
الشعر الحاهي وأجحت في لشك . أو قل أخ - عني - التث . وأحدثت أبحث  
وأفكر وأقرأ وأتدبر . حتى انتهى في هذا كله في شيء . إلا يكن فيها  
فهو قريب من اليقين . ذلك أن الكثير المطلق . اسمه شعرا حاهي  
ليست من الجاهلية في شيء . وإنما هي منجبه محطه بعد ظهور  
لإسلام . فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وموهم وأهواعهم أكثر  
مما تمثل حياة الجاهليين . وأكاد لا أشك في أن ما بقى من الشعر  
الحاهي صحيح قابل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء . ولا يسمى  
الاعتماد عليه في سحر ح القصوره لأدبيه الصحيحة لهذا العصر  
الحاهي . وأنا أقدر لتأخ الخضر لهذه بطرمة . ولكني مع ذلك لا أتودد  
في بثاتها وإداعتها . ولا أضعف عن أن أعلن اليك وإلى عرك من  
الفراء أن ما تفرؤه على أنه شعر امرئ القيس . أو طرفة أو ابن كلثوم  
أو عترة ليس من هؤلاء الناس في شيء . وما هو احتمال الرواة  
أو اختلاق الأعراب أو صفة اسحة . أو تكلف القصص أو اختراع  
المفسرين والمحدثين والمتكلمين .

وأنا أرى مع هذا كله أن العصر الذهبي القريب من الإسلام لم يبعث ، وأنه مستطیع أن تتصوره تصورا واضحاً قوياً صحيحاً . ولكن بشرط ألا نعتمد على شعرة . بل على القرب من ناحية ، وندريش والأساطير من ناحية أخرى .

وسألی كيف انتهى في البحث من هذه النظرية خطره ؟  
ولست أكره أن أحيث على هذا سؤال . بل ألا أكسب ما أكسب  
إلا لأحيث عليه . ولأجل أن أحيث عليه بحدة مقصده بحسب أن  
أحدثت لك في طائفة محبته من المسائل . وسأرى أن هذه الطائفة  
المحتفظة من المسائل تنتهي كلها إلى يدعة واحدة هي هذه النظرية التي  
ذكرتها مد حين . ويجب أن أحدثك عن الحياة الساسية للاحية  
للأمة العربية بعد ظهور الإسلام ووقوف حركة النسخ . وما بين هذه  
الحياة وبين الشعر من صلة . ويجب أن أحدثك عن حال أولئك  
الناس الذين عللوا على أمرهم بعد النسخ في بلاد العرب وفي الشام  
وحريرة والعراق ومصر . وما بين هذه الحال وبين لغة العرب  
وقد بهم من صلة . ويجب أن أحدثك عن نساء الموم المديسة  
وبعومة وما بينهما وبين اللغة والأدب من صلة . ثم يجب أن أحدثك  
عن اليهود في بلاد العرب قبل الإسلام وبعده . وما بين اليهود هؤلاء  
وبين الأدب العربي من صلة . ويجب أن أحدثك هذا هذا عن  
المسيحية وما كان لها من الأثر في بلاد العرب قبل الإسلام  
وما أحدثت من تأثير في حياة العرب العقلية والاجتماعية والاقتصادية

والأدبية ، وما بين هذا كله وبين الأدب العربي والشعر العربي من  
صلة . ثم يجب أن أذكر عن مؤثرات سياسته الخارجية نعمت في حياه  
العرب قبل الإسلام وكان لها أثر قوي جدا في الشعر العربي الجاهل  
وفي الشعر العربي لدى النحل وأصيف أي الجاهليين . وهذه المناحي  
التي أشرت إليها ستتمى كلها في تلك السيرة التي قدتها . وهي أن  
الكثرة المضافة مما سميه الشعر الجاهل ليست من الشعر الجاهل  
في شيء .

والتي مع ذلك لم أضع عند هذه المناحي ، لأى لم أضع  
عندها في بني وبين نفسي من حاورتها . وأريد أن أحاورها معني أي  
بحر من البحث أظنه أقوى دلاله وأنهم حجة من المناحي  
بما صيغ كلها ، ذلك هو البحث الفني واللغوي . فسيتبين ما هذا  
البحث في أن هذا الشعر لدى يسب أن امرئ القيس أو أن لأعشى  
أو في نهرهم من الشعراء الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والمصية  
أن يكون هؤلاء الشعراء ، ولا أن يكون قد قيل ودع من أن يصير  
القرن . نعم ! وسيتبين ما هذا البحث أن يبيحه عربية ، وهي أنه  
لا يسمى أن يستشهد بهذا الشعر على تفسير القرن وتأويل الحديث ،  
وعما يسمى أن يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر  
وتأويله ، أريد أن أقول إن هذه الأشعار لا تثبت ثبت ولا تدل على

شيء ، ولا يدعى أن تُنجد وسيلة الى ما اتحدت اليه من علم بالقرآن  
والحديث ، فهي إما تُكَلِّف وتُحْتَرَب احتِزاعاً يستشهد به العلماء  
على ما كانوا يريدون أن يستشهدوا عليه .

فإذا انتهى من هذه الطرق كلها الى غاية واحدة هي هذه الطريقة  
التي قدمتها ، فسحتهد في أن بحث عما يمكن أن يكون شعراً جاهلياً  
حقاً . وأما أعزف منه الآن فإن هذا البحث عسير كل العسر ، وأما  
شك شكاً شديداً في أنه قد ينتهي بنا الى نتيجة مرصية . ومع ذلك  
فستحاوله .

## منهج البحث

أحب أن أكون وصحاحاً حب وأن أقول بأس ما أريد أن أقول دون أن أصطرهم إلى أن يتأقنوا ويتخلوا ويذهبوا مذهباً مختصة في النقد والتفسير والكشف عن الأعراض التي أرمى إليها . أريد أن أريح الناس من هذا الهول من ألون التعب ، وأن أريح نفسي من الرذالة والضعف والمناقشة في لا يحتاج إلى مناقشة . أريد أن أقول إلى سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحققين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يدولون من العلم والفلسفة ، أريد أن أطمح في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) بالبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث . وأساس جميع العلوم أن قاعدة الإنساسة لهذا المنهج هي أن يتخرد بحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه على أنه شيء مما قيل فيه خطأ تاماً . وأساس جميعاً يعلمون أن هذا المنهج الذي سمح عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة يوم ظهر ، قد كان من أحسن المناهج وأقومها وأجملها . وأنه قد حدد العلم والفلسفة تحديداً ، وأنه قد غير مذهب القدماء

في أدبهم وفتاين في فونهم ، وأنه هو الصريح الذي يتنازل به هذا العصر الحديث .

لنصطليح هذا المصيح حين يريد أن يتناول أدب العربي القديم وتاريخه «أبحث ولا استقص» . ولنستقبل هذا الأدب وتاريخه وقد رأنا أنفسنا من كل ما قيل فيها من قبل وحلصنا من كل هذه الأعلال الكثيرة الثقيلة التي تأخذ أيدينا وأرجلنا وراء وساء فتحول بين وبين الحركة الحسية الحرة ، وتحول بين وبين حركة العفوية الحرة أصا . نعم ! يجب حين نستقبل «أبحث عن الأدب العربي وتاريخه أن نسي قوميتهم وكل مشغفتها» وأن نأسي ديننا وكل ما يتصل به ، وأن نأسي ما مضى هذه القوم وما مضى هذا الدين ، يجب ألا نتقيد بشيء ولا ندع شيء . لا مفتح البحث انتهى تصحيح . ذلك أنا إذا لم نأسي قوميتهم ودينهم وما يتصل بهم فسنصير في التعمد والإصرار العواطف . وسنعلن عقولنا كما نلاحظ هذه القومية وهذا الدين . وهل فعل القدماء غير هذا ؟ وهل أقصد علم القدماء شيء غير هذا ؟ كان القدماء عرب ، متعصبون للعرب . أو كانوا عجم متعصبون على العرب . فلم يراهم من القصد . لأن المتعصبين للعرب علوا في تمجيدهم وإكبارهم فأعرفوا على أنفسهم وعلى القوم . ولأن المتعصبين على العرب علوا في تحقيرهم وصغارهم فأعرفوا على أنفسهم وعلى العلم أيضا .

كان القدماء مسلمين محضين في حب الإسلام ، فأحصعوا كل شيء لهذا الإسلام وحجم إياه . ولم يعرفوا لمبحث علمي ولا لفصل



من فصول الأدب أو لون من ألوان الفن إلا من حيث به يؤيد الإسلام ويعزّه وبعلى كلمته . في لاءم مذهبهم هذا أحدهم ، وما نأفوه انصرفوا عنه انصرافاً ، أو كان انقدماء غير مسلمين . يهوداً أو نصارى أو عجم أو ملحدين أو مسلمين في قلوبهم مرض وفي عيونهم رعب ، فأنثروا في حياتهم العلمية مثل ما نأثر به المسلمون الصادقون : تمصوا على الإسلام وخووا في تحنهم العلمي نحو الجنس منه والتصغير من شأنه ، فظلموا أنفسهم وظلموا الإسلام وأفسدوا العلم وخسروا على الأجيال المقبلة . ولو أن القدماء استطاعوا أن يترقبوا بين عقولهم وقلوبهم وأن يسلطوا العلم على نحو ما يتداوله المحذنون لا يتأثروا في ذلك بقومية ولا عصبية ولا دين ولا ما يتصل بهذا كله من الأهواء ، لم كانوا لنا أذاً غير لأذب الذي نحمده بين أيدينا ، ولأزاحوا من هذا البناء لدى سكانه الآن . ولكن هذه طبيعة لسان لا سبيل إلى التخلص منها . وثأت تستطيع أن تقول حد الذي نقوله في كل شيء .

فلو أن الملاسة دهموا في القدماء مذهب (ديكارت) منذ العصور الأولى ، لما احتاج (ديكارت) إلى أن يستحدث مذهب الجديد . ولو أن المؤرخين دهموا في كتابة التاريخ منذ العصور الأولى مذهب (سيديووس) لما احتاج (سيديووس) إلى أن يستحدث مذهب في التاريخ . وصداة أدنى إلى الإبحار لو أن لإنسان خلق كاملاً لما احتاج إلى أن يطمع في الكمال .

فلندع لوم القدماء على ما نأثرو به في حياتهم العلمية مما أفسد عليهم لعلم . وحتند في ألا تتأثر كما تأثروا وفي ألا يفسد العلم

كما أقصدوه . نحتشد في أن ندرس الأدب العربي مع حافلين بمحمد  
عرب أو بعض منهم ، ولا مكثر من نصر الإسلام أو البنى عليه ،  
ولا معينين للملائمة بينه وبين نتائج البحث العلمى والأدبى ، ولا  
وحيين حين يتبنى هذا البحث لى ما تأراه القومية أو تنعمر منه  
لأهواء السياسة أو نكرهه المذهبى ، وإن نحن حررنا أنفسنا لى  
هذا الحد فليس من شك فى أننا سنبطل بحثنا العلمى لى نتبع لى  
للى مثله القديم . ونحن من شك فى أننا سنلقى أصداء سواء نكتب  
فى الزنى أو أحصاها . فما كان خلاف رأى فى العلم منه من  
أسباب العصب ، ما لأهواء وعوطف هى التى تنهى الناس لى  
ما يقصد عنهم لى من بعض وأعداء .

فأنت ترى أن مرجح (ديكار) قد لمس حقا فى العلم والتمسقه  
والأدب حقا ، وما هو حقيق فى لأعداء واحد الاحتشاشيه  
أيضا ، وأنت ترى أن لأحد منهم يرجع لى عن يدين يدرسون  
علم ويكتنون فيه وحدهم . لى هو حتم على يدين يقرءون نص .  
وأنت ترى أى غير مصرف حين نصب منه لى الذين لا يستطيعون  
أن يبرءوا من تقديم ويخلصوا من أعين اعوطف ولأهواء حين  
يقرءون العلم أو يكتنون به لا يقرءوا هذه المقصود . فلن تفسدهم  
قراءتها إلا أن يكونوا أحرارا حقا .

## مرآة الحياة الخادية يجب أن تلمس في القرآن

### لا في الشعر الجاهلي

على أي أحب أن يقدمش ندين يكافون ، لأدب العربي القديم  
ويشتمون عليه ويجدون شيئا من لده في أن يصفوا أن هناك  
شعر جاهليا يمثل حياة جاهلية بمعنى عصرها يظهر لإسلام ، ولن  
نحو هذا الكتاب ، يصفون ، ولن مقطع السنين بينهم وبين هذه  
الحياة الجاهلية يدرسوها ويحدثون في دروسها ، يسمعون من مدة علمية  
وثيقة ، بل أن ذهب في أبعاد هذه وأبعدها في مستكشف  
هم طريقا حديد و صحه ففسره بمثل يصفون منها في هذه حياة  
الجاهلية ، أو بعدة أصح ، يصفون منها إلى حدود جاهلية لم يعرفوها ،  
في حياة جاهلية قديمة مشرفة سمعه محاضرة كل المحاضرات هذه حيدة التي  
تحدثها في المصولات وغيرها ثم ياسب إلى الشعر الجاهلي ،  
ذلك أني لا أذكر حياة الجاهلية وما أذكر أن يثنها هذا الشعر  
الذي يسموه الشعر الجاهلي ، فإن أردت أن أدرس الحياة الجاهلية  
فليس أسلك بها طريق مرقى الخويس والاسمي ودرهم الذي  
لا أني بما ياسب بينهم ، وإنما أسلك إليها طريقا أخرى ، وأدرسها

في حق لا سبيل الى الشك في صحته ، أدرسها في القرآن . فالقرآن  
أصدق مرآة لعصر جاهلي . وحق القرآن ثابت لا ميل الى الشك  
فيه . أدرسها في القرآن ، وأدرسها في شعر هؤلاء لشعراء الذين  
عاصروا سبي وحادلوهم ، وفي شعر لشعراء الآخرين الذين جاءوا بعده  
ولم تكن همومهم قد حلت عن الآراء واخافة بني أمية ، وهم قبل  
ظهور الإسلام . بل أدرسها في الشعر لأُموي نفسه . فست أعرف  
أمة من الأمم القديمة سمكت عذبت اختلاطة في الأدب ولم يتحدد  
فيه إلا مقدار كالأمة العربية . تحب العرب الجاهليين طهرهم في شعر  
العروذي وجرير ودي الرمة والأحطل وراعي أكثر من ظهورها في هذا  
الشعر الذي يسب الى صفة وعمره والتمج ونسب أي حارم .

قلت . ان القرآن أصدق مرآة للحياة في هذه . وهذه القصيدة  
عربية حين تسمعها . ولكنها بذهية حين تفكر فيها قليلا . وليس من  
اليسير أن يفهم أن الله قد أنعموا بالقرآن حين نلت عنهم آياته  
إلا أن تكون بينهم وبينه صلة هي هذه الصلة التي توحد بين الأثر  
الفني الدقيق وبين الذين يعجبون به حين يسمعون به أو يسطرون اليه .  
وليس من اليسير أن يفهم أن العرب قد قاوموا القرآن وناهضوه  
وحادلوهم التي فيه إلا أن يكونوا قد فهموه ووقفوا على أسرارهم ودقائقهم .  
وليس من اليسير بل ليس من الممكن أن نصديق أن القرآن كان حديدا  
كله على العرب . فهو كان كذلك لما فهموه ولا وعوه ، ولا آمن به  
بعضهم ولا ناهضه وحادل فيه بعضهم الآخر . إنما كان القرآن حديدا

في أسلوبه ، حديد في يدعو اليه ، حديد في شرح للباس من دين وقانون . ولكنه كان كذا عربيا ، لعنه حتى اسمه عرسه لأذنيه نقي كان مصطعها الدس في عصره ، أي في العصر الجاهلي . وفي العرب رذ على الوثنيين في كانوا يعتقدون من الوثنية ، وفيه رذ على اليهود ، وفيه رذ على النصارى . وفيه رذ على لصاثة ومحوس . وهو لا يرد على يهود فلسطين ، ولا على نصارى روم . ومحوس لفريس . وصاثة لخرره وحدهم . وإنما رذ على فرق من العرب كاس منهم في البلاد العربية نفسها . ولولا ذلك لما كاس به قسمة ولا حضر . ولم جعل به أحد من أولئك الذين « رصود وثدوه » وصحوا في سبيل تأسده ومعارضته بالأموال والحياة .

أفترى أحد يعمل في لو في أحسن أهدم سوديه أو غيرهم من هذه الديانات التي لا يذهب أحد في مصر " ولكنني أعبد نصارى حين أهاجم النصرانية ، وأهجم اليهود حين أهاجم اليهودية ، وأهجم المسلمين حين أهاجم الإسلام . وأه ذا أكاد أعرض لو أحد من هذه الأديان حتى أحد مقومه لأفراد ثم لخاصة ، ثم مقومه بدونه نفسها نمثها ليدية والقضاء . ذلك لأن أهاجم ديانات مثلة في مصر تؤمن بها المصريون ويحميها لدولة المصرية . وكذلك كاس لخال حين طهر الإسلام . هاجم الوثنية معارضة الوثنيون . وهاجم اليهود معارضة اليهود . وهاجم نصارى معارضة النصارى . ولم يكن هذه المعارضة حية ولا يسة ، وإنما كاست تقدر عقدر ما كان لأهلها من قوة ومسة

وأنس في الحيرة لأخيه وسيسه. فمات وثبة فريش فقد أخرج  
 من مكة ونصبت له الحرب واضطرت أصحابه إلى الهجرة. وأما  
 يهودية اليهود فقد ألبس عبه وحدهته جهاد عقدا وحديبا، ثم انتهت  
 الحرب واقتل. وأما نصرانية النصارى فلم يكن معارضا للإسلام  
 لأن حده من قوة عبه لمعارضة الوثنية ويهودية. فمات "لأن  
 شدة في ظهره من أن لا يكن بينه حراسة بحد كات وثبة في مكة،  
 يهودية في المدينة. ووضهر التي في الحيرة وفي حزن لقي من نصارى  
 هاتين مدينتين مثل ما في من مشركي مكة ويهود مدينة.

وفي الحق أن للإسلام لم يكن يظهر على مشركي حجاز ويهوده  
 حتى يستحال الجهاد به. ومن النصارى من حذر وصل بالحق إلى  
 اصطدام مستعجل. أدرك التي قوة ونهي به. فمات في أقصى حدوده.

فأنت ترى أن هناك حين يتحدث عن الوثنيين واليهود والنصارى  
 وغيرهم من أصحاب دجل وديارات إنما يتحدث عن العرب وعن  
 كل ديارب أنهم عرب. فهو سبيل العرب من دجل. ووثبة هم  
 ما يؤيد. وهو من في دجل من معارضة والدأيد بمقدار ما لمحدد  
 الدجل وديارات من السبيل التي نفوس الناس. وذلك ما بعد  
 أحرق منبيعة. فحدث عن حدة الجاهلية في هذا شعر لدى صف  
 من الجاهليين وحدث عنهم في القرآن.

فأما هذا الشعر لدى صف أي الجاهليين ويظهر لنا حياة عامضة  
 حارة بريئة أو كاريئة من الشعور. في الموهي والعاطفة الدينية

المتسلطة على النفس والسيطرة على الحياة العملية ، وإلا فإن تجد شيئاً من هذا في شعراء القس أو طرفة أو عترة ' أو ليس عجيب أن يمجّر الشاعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين .

وأما القرآن فيمثل لنا شيئاً آخر ، يمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يحادوا عنها ، وسعهم الحدال . ودا رأوا أنه قد أصبح قليل العداء بخاؤوا إلى الكبد ، ثم إلى الاصطهاد ، ثم إلى إعلان الحرب التي لا تبق ولا تذر .

أفطن أن قرشاً كانت تكذب لأسفها وتصعدهم وتديهم ألون العذاب ثم تخرجهم من درجهم ثم تصب هم الحرب وتصحى في سبيلها ثروتها وقوتها وحربها لو لم تكن هما من الدين إلا ما يمثله هذا شعر لذي بصاف إلى الجاهليين " كلا كانت فريش متديته قوية الإيمان بدنيا . ولهما الدين ولا يمس هذا لدين حاددت ما حاددت وصحت ، صحت . وقل مثل ذلك في اليهود ، وقل مثله في غير أولئك وهؤلاء من العرب الذين حاددوا إلى عن دينهم .

واترآن إذن أصدق تمثيلاً للحياة الدينية عند العرب من هذا الشعر الذي يسمونه الجاهلي . ولكن نقرآن لا يمثل الحياة الدينية وحدها . وإنما يمثل شيئاً آخر ، لا يحده في هذا الشعر الجاهلي ، يمثل حياة عملية قوية ، يمثل قدره على الحدال والحصام أعققرآن في جهدها حظ عطيا . أليس القرآن قد وصف أولئك الذين كانوا يحادون إلى

بقوه احداث والقدرة على الخصم وشده في المعركة او في كاي يحدلون  
ويحتمون ويحاورون في الدين وفيما يصل بالدين من هذه المسائل  
المعصلة التي يفتي الفلاسفة فيها حياهم دون أن يوفقوا في حاي  
في البعث في الحق في إمكان لا تصاب بين الله والانس في المعجزة  
وما الى ذلك .

أفضل قوما يحدلون في هذه الأشياء حدالا يصعب للقرآن بالقوة  
ويشهد لأصحابه بالمعجزة. أفضل حولا نفوس من اهل البيت والعبادة والعصمة  
والخشوة بحيث نملهم لما هذا الشعر الذي يصرف إلى اهل البيت  
كلما لم يكونوا حيا ولا اعياء ولا غلاظ ولا أصحاب حياء خشية  
حايه وإيم كاي أصحاب علم ودكاء وأصحاب عوصة رفيعة وعيش  
فيه ليس وضعة .

وهو يحب أن يخطأ في كل اعرب كايهم كذلك ولا ينشدهم القرآن  
كلهم كذلك وإيم كايهم كثيرهم من الأئمة القديعة وكثيرهم من الأئمة  
الحديثة منقسمين إلى طينين طينة المستعربين الذين يمارون بالثروة  
واخاه والدكاء ويعلم وطينة العامة الذين لا يكاد يكون هم من هذا  
كله خط .

القرآن شاهد بهذا . أليس يتحدثنا عن أولئك المستضعفين الذين  
كفروا طاعة لسادتهم ورفضهم لاجهاد في الرأي ولا اقتناعا بالحق  
والمدين يقولون يوم يسألون : ( رَبِّ إِنَّا طَعْنَا سَادَتَنَا وَكُفَرْنَا فَاصْلُوا  
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ) . بل ! والقرآن يتحدثنا عن حيفه لأعراب وعظمهم ومعاهم



في الكفر وانفاق وعنه حظهم من العاطفة الرومية التي تحمل على الإيمان  
والتمسك. أليس هو الذي يقول: (لَا الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبَغًا وَأَحْذَرُ  
لَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) . أليس قد شرع للبي أن يتألف  
قلوب الأعرب بمال . بل . والعرب قد يمثل الأمة العربية على أنها  
كانت كغيرها من الأمم القديمة، فيها أشرارون مستغيرون الدين كأنه  
الذي يعادهم ويحذوهم . وفيها أعمى الدين لم يكن لهم حظ من سيرة  
أو أشرار والذين كانوا موضوع نزاع بين أسى وحصومه ولذين كان  
يتألفهم النبي بالمال أحيانا .

والمرن لا يمثل لأمة العربية مديته مسيرته حسب . بل هو بعضه  
مما صورة أخرى يدعش لها ندين تعودوا أن يعتمدوا على هذا الشعر  
جده في درس حياة العربية قبل الإسلام . وهم يعتقدون أن العرب  
كانوا قبل الإسلام أمة معتزلة تعيش في صحرائها لا تعرف العلم  
الحديث ولا يعرفها علم آخر . وهم يسوق على هذا قصدا  
ويصريات . فهم يقولون إن الشعر الجاهلي لم يترك فيه لمؤثر خارجية  
التي أثرت في الشعر الإسلامي . لم يترك فيه لمؤثر خارجي . وأتى له  
ذلك ! لقد كان يقال في صحراء لا صلة بينها وبين الأمم المحصورة .  
كلما ! لم يكن يحدث شيء . لم يكن يحدث ما أن العرب كانوا  
على اتصال مع حوهم من الأمم بل كانوا على اتصال قوي معهم  
أحرارا وقرتهم شيئا . أليس القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم

و بين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب الى حريين مختلفين : حرب  
يشاع أولئك . وحرب يناصر هؤلاء \* . ليس في القرآن سورة تسمى  
سورة الروم وتسمى هذه آيات **إِنَّمَا عَلَّمَتِ الرَّوْمُ فِي أَذَى الْأَرْضِ**  
**وَحُمٌ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَقْلُونَ فِي بَضْعِ سَنٍ لَّنَا الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ**  
**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَخْشَرُ مَن يَشَاءُ \* .**

ثم نكن العرب اذن كما يحسن أصحاب هذا شعر الجاهلي معتزلي .  
جاءت رى أن القرآن يصف عنايتهم سياسته الفرس والروم . وهو  
يصف أصنافهم الاقتصادية بعضهم من **لَا تُمِ فِي سُورَةِ الْمَعْرِفَةِ**  
**وَالْإِبِلَافِ فُرَيْشَ يَبْلَاغُهُمْ رِحْلَةَ شِئَاءٍ وَالصَّيْفِ ...** وكانت إحدى  
حائلي الرحلين إلى شام حيث الروم . والأخرى إلى اليمن حيث الحبشة  
أو العرس .

وسيرة التي تحدثنا أن العرب تجاوزوا بوعار باب الهند إلى  
بلاد الحبشة . ثم يهاجر المهاجرون الأقوياء إلى هذه البلاد ! وهذه  
السيرة نفسها تحدثنا بأنهم تجاوزوا أخيراً إلى بلاد الفرس . وأنهم  
تجاوزوا الشام وفلسطين إلى مصر . فلم يكونوا اذن معتزليين . ولم يكونوا  
يدين بحوة من تأثير الفرس والروم والحبش والمصر وغيرهم من الأمم  
المجاورة لهم . لم يكونوا على غير دين ولم يكونوا جهلاً ولا عاظماء ولم  
يكونوا في عجلة سياسية أو اقتصادية بالنسبة إلى الأمم الأخرى .  
كذلك يمثلهم القرآن .

وإذا كانوا أصحاب علم ودين، وأصحاب ثروة وفؤاد، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة متأثر بها مؤثر فيها، فبأحاديثهم أن يكونوا أمة متحصرة راقية لا أمة جاهلة منحمة . وكيف يستطيع رجل جاهل أن يصدق أن القرآن قد ظهر في أمة جاهلة منحمة

أرأيت أن أقدس الحياء العربيه جاهدة في القرآن أسع وأحدى من أقدسها في هذا الشعر لعظم لهي يسمونه الشعر الجاهلي ' أرأيت أن هذا النحو من البحث يترك كل التعبير، تعود أن تعرف من أمر الجاهليين !

## الشعر الجاهلي واللغة

على أن هناك شئنا آخر يحظر علينا لتسايم صحة الكثيره لمصنفه من هذا الشعر الجاهلي ، ولعله أطلع في إشت ، مذهب إليه . فهذا الشعر الذي رأينا أنه لا يمثل حياة الدياسة والعمليه للعرب الجاهلين بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يرغم الرواة أنه قل فيه . والأمر هنا يحتاج إلى شيء من الروية والأمانة . ونحن إذا ذكرنا اللغة العربية يريد بها معناه اندقق المحدود الذي تحده في المعاصم حين نبحث فيها عن لفظ نامة ما معناه . يريد بها الألفاظ من حيث هي ألفاظ تمل على معانيها ، تسعمل حثيمة مره وبحر مرة أخرى . وتتطور نظورا ملائما لمقتضيات الحياة التي يحياها أصحاب هذه اللغة .

نقول أن هذا شعر الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية . ولتجنب هذا في تعرف اللغة الجاهلية هذه ماهي ، أو ما د كاس في العصر الذي يرغم الرواة أن شعرهم الجاهلي هذا قد قل فيه . أما الرأي الذي أتفق عليه انرواة أو كادوا يتفقون عليه فهو أن العرب ينقسمون إلى قسمين . خطابية مذهبهم الأول في اليمن ، وعدايسة مذهبهم الأول في الحجاز .

وهم متفقون على أن القحطبية عرب مدحلقهم الله يُطروا على العربية فهم العاربة، وعلى أن العدسية قد اكتسوا عربية اكتساباً، كانوا يتكلمون لغة أخرى هي العرابية أو الكلدانية، ثم تعلموا لغة العرب العاربة فحدث لغتهم لأولى من صدورهم وثبت فيها هذه اللغة لثنية المسعارة. وهم متفقون على أن هذه العدسية المستعربة إما يتصل نسبها بإسماعيل بن إبراهيم. وهم يروون حديثاً يفتخرونه أساساً لكل هذه نظرية. خلاصه أن أول من تكلم بالعربية ونسب لغته إليه إسماعيل بن إبراهيم.

على هذا كله يتفق الرواد. ولكنهم يفتخرون على شيء آخر نص أثبتته اسحت الحديث، وهو أن هذه خلافاً لما بين أمة حمير، وهي العرب العاربة، وجمعة عديد. وهي العرب المسعربة. وقد روى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: ما كان حمير بلداً ولا لغتهم لغة.

وفي الحق أن اسحت الحديث قد أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة التي كان يصططعها ناس في جنوب البلاد العربية. واللغة التي كانوا يصططعونها في شمال هذه البلاد. ويدل الآن نقوش ونصوص تكلمنا من إثبات هذا الخلاف في منط وفي قواعد النحو والنصرف أنفس. وإذاً فلا بد من حل هذه المسألة.

إذا كان أساء إسماعيل قد علموا العربية من أولئك العرب الذين نسميهم العاربة فكيف مُسند ما بين أمة التي كان يصططعها العرب

العارية واللعنة التي كان يصطعها العرب المستعربة ، حتى استطاع أبو عمرو بن العلاء أن يقول :هما لغتان متديرتان ، واستطاع العلماء المخدثون أن يثبتوا هذا التفسير بالأدلة التي لا تقبل شكاً ولا حداً ، ولأمر لا ينفك عند هذا الحد ، فوضح حد لكل من نه إليهم بالبحث التاريخي عامه ودرس لأن صير والأقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة مصطنعة في عصوره ، أحرق دعوى أيها حاحاة ديدية أو اقتصادية أو سياسية .

لتوراة أن تحدث عن إبراهيم وإسماعيل ، وللفرآن أن يتحدث عنهما نصاً ، ولكن ورود هذين الأسمين في لتوراه والفرآن لا يكفي إثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مصطرون في أن نرى في هذه القصة نوعاً من الخيلة في إثبات لصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والفرآن والتوراة من جهة أخرى . وأقدم عصر ممكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة ، ما هو هذا العصر لدى أحد اليهود يستطيعون فيه شمال البلاد العربية ويثبون فيه المستعمرات . فمن نعم أن حروبا عتيقة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقبضون في هذه البلاد ، وأنهت شيء من المسائلة والاملاسة وبوع من المحلقة والمهادنة . فليس بعد أن يكون هذا لصبح الذي ستقر بين المعيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التي نجعل العرب واليهود

أساء أعظم ، لا سيما وقد رأى أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئا من تشبه غير قليل ، فأولئك وهؤلاء سميوب .

والكنائس ، لدى لاشت فيه هو أن ظهور الإسلام وما كان من المحسومة العبيقة منه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب . فقد فتحنى أن تنبأ أصله بوشقة المنفعة من لدين الحليد وبين الديانتين القديمتين : ديانة النصرى واليهود .

وأما الصلة الدينية فثابته وصحة ، بين القرآن وتوراه والأحبار ، شرك في الموصوع ونصورد والعرض ، كلها ترمى إلى التوحيد ، وتعتمد على أساس واحد هو الهدى لشرك فيه الديانات السوية السمية . ولكن هذه الصلة الدينية معدومة عققة بحس أن يؤيدها صلة أخرى مادية مبنوسة أو كالمبنوسة بين العرب وأهل الكتاب . ثم الذى يبع أن تستغل هذه انقصه قصة بقراءة المادية بين العرب العثمانية واليهود ”

وقد كانت قريش مستعدة حكل الاستعداد لفول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للسبع . فقد كانت في أول هذا القرن قد آتته أى حظ من النهضة السياسية والاقتصادية ضمن لها البباده في مكة وما حولها ونسط سيطرتها لمعوى على جزء غير قليل من بلاد العربية الوثنية . وكان مصدر هذه النهضة وهذا السطان أمرين .. التجارة من جهة ، ولدين من جهة أخرى .

وأما التجارة فمنهم من أن قريشا كانت تصطاعها في الشام ومصر  
وبلاد الفرس واليمن وبلاد الحبشة .

وأما الدين فهذه الكعبة التي كانت تجمع حولها قريش ويجمع  
إليها العرب المشركون في كل عام ، والتي أحدثت تسلطاً على يهود هؤلاء  
العرب المشركين يوماً من السلطان يوماً ، والتي أخذ هؤلاء العرب  
المشركون يفعلون بها زمراً الذين قوى كآته كان يريد أن يقف  
في سبيل انتشار اليهودية من حبه والمسيحية من أحمه أخرى . ومن  
بمع في الأساطير أن شيث من المماسة المدينة كان قائماً بين مكة  
وخرن . ومن بمع في الأساطير أيضاً أن هذه المماسة المدينة بين  
مكة وبين الكعبة التي أسسها الحبشة في صنعاء هي التي دعت إلى  
حرب الحميل التي ذكرت في القرآن .

فقريش ، من كانت في هذه العصر ، حصنة مهيمنة مدنية تجارية ،  
ومنها مدينة وثنية ، وهي حكم هاتين المدينتين كانت تحول أن يوجد  
في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة تقاوم تدخل الروم والفرس  
والحبشة ودياناتهم في البلاد العربية .

وإذ كان هذا هو الحق ، ومن يعتقد أنه حق . فمن المعصوم  
هذا أن تحت هذه المدينة الحبيدة بينهما عن أصل تاريخي قديم  
يتصل بالأصول التاريخية المساعدة التي نتحدث عنها الأساطير . وإذن  
فليس ما يجمع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة



من تأسيس التماثيل وراهم . كما قلت روم . قبل ذلك ولأسباب  
مشابهة أسطورة أخرى صمما لها . يونان ثبت أن روما متصلة بإيباس  
ابن برام صاحب طروادة .

أمر هذه قصة . من واضح . فهي حديثة العهد ظهرت قبل  
الإسلام . وسميها الإسلام لسبب دي . وقتل مكة لسبب دي  
وسياسي نص . وإذا لم نستطع لتاريخ الأدنى ونعوى ألا نحن . يا عبد  
ما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية التصحى . و . من نستطع أن نحول  
ان الصلة بين لغة العربى فصيحى نرى كانت شكلها عدائية ولغة  
التي كانت شكلها المحظية في ايمى إنما هي كالصلة بين لغة العربى  
وأى لغة أخرى من تحت السادية المعروفة . وإن قصة " لغارة " و  
و " المستعرة " ونعم اسماء على العربى من خرم . كل ذلك حديث  
أساطير لا خطر له ولا عناء فيه .

والسبحه هذا البحث كله رتب إلى الموضوع لدى ابتداءه من  
حين . وهو أن هذا الشعر لدى يسموه الجاهلى لا يش اللغة الجاهلية  
ولا يمكن أن يكون صحيح . ذلك لأن نجد بين هؤلاء شعراء الذين  
يصيغون اليهم شيئاً كثيراً من شعر الجاهلى فوما يتسول إلى عرب  
ايمن أن هذه محظية لغارة التي كانت شكل لغة غير لغة لغز .  
والتي كان يغول عنها أبو عمرو بن العلاء . إن لغتها محظية لغة العرب .  
ولتى أثبت البحث الحديث أن لها لغة أخرى غير اللغة العربية .

وكما حين نقرأ الشعر الذي يصف إلى شعراء هذه المحظية  
في جاهلية لا نجد عرفاً ولبلاً ولا كثير يابن وبين شعراء مداسة .  
لستمقر الله ! بل نحن لا نجد عرفاً بين هذه الشعراء وامة لقرآن . فكيف  
يمكن فهم ذلك أو تأويله " ثم ذلك يسره وهو أن هذا الشعر الذي  
يصف إلى المحظية قبل الإسلام ليس من المحظية في شيء ،  
لأنه شعراءها و إنما حمل عليهم بعد الإسلام لأنساب محمدية سبها  
حين تعرض هذه الأنساب في دست في أشعار شعراء جاهلي  
و الإسلام .

## الشعر الجاهلي وبلهجات

على أن الأمر يتجوز هـ شعر جاهلي لمختصين في شعر  
جاهلي العدناني نفسه ، وأزوه يعديس ، أن الشعر سفل في قبائل عدنان ،  
كان في ربيعة ثم سفل في قبيل ثعلبة ، فطل فبها أن هـ بعد  
لإسلام أي في أم بني أمية حين سمع لفرزدق وحرير .

ومن لا يستطيع أن يفهم هـ النوع من الكلام ، لا يسمي ، لأن  
لا يعرف ما ربيعة وما قبيل وما تميم معرفة عامة صحيحة ، أي لأن  
سكر أو شكر على أول تدبر شكافوه في قيمة هـ ، التي تسمى  
بها القبائل ، وفي قيمة الأنساب التي تفصل بين شعراء وبين أسماء  
هـ القبائل ، ويعتقد أو يرجح أن هـ كذا أقرب في ذلك طيرمه  
إلى العلم اليقين .

والكن مسألة السب ، قيمة مسألة لا بعد الآن ، فلندعها إلى حيث  
معرض هـ إذ أقدمت مباحث هـ ، لكأن أن معرض هـ ، وقد بنا  
رأي فيها ، بنا محلا في "ذكرى أو العلاء" ، بمسألة التي تعبد  
الآن ونأمل على الشئ في قيمة هـ ، نظرية (نظرية تفصل الشعر

في قبائل عدنان قبل الإسلام مسألة فيه حائضه . ولرواة مجموع على أن قبائل عدنان م يكن متحدة أبدا ولا مفرقة . بلهجة قبل أن يظهر الإسلام تقرب بين اللهجات المختلفة ويريل كثيرا من تدين اللهجات . وكان من المعلوم أن تختلف لغات العرب البدائية وتباين لهجاتهم قبل ظهور الإسلام . ولا سيما د صحت النظرية التي أشير إليها أنها وهي نظرية لغوية العربية ، وثبت أن العرب كانوا متقاطعين متدينين ، وأنه لم يكن بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية ما يمكن من توحيد اللهجات .

فإن صح هذا كله كان من المعلوم حد أن تكون لكل قبيلة من هذه القبائل اللغة به عتقا ودهجتها ومذهبها في الكلام . وأن يظهر اختلاف اللهجات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يعرض العرب على لغة واحدة واللهجات متفارقة . ولكننا لا نرى شيئا من ذلك في الشعر العربي الجاهلي . فامت نستطيع أن نقرأ هذه المصطلحات أو الملقبات التي يتخذها أصحاب القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح . فسترى أن فيها مقبولة لأمرئ القيس وهو من كنده أي من خصان ، وأخرى رُهَيْز ، وأخرى لعبره ، وثالثة للبيد ، وكلهم من قيس ، ثم قصيدة لَعْرَبة ، وقصيدة لعمر بن كلثوم ، وقصيدة أخرى لخزاعة بن حذرة وكلهم من ربيعة .

تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلافاً في اللهجة أو ناعداً في اللغة أو تبايناً في مذهب الكلام . اسحر العروصي هو هو ، وقواعد انشائية هي هي ، والألفاظ مستعملة في معانيها كما تحدث عند شعراء المسلمين ، والمذهب الشعري هو هو .

كل شيء في هذه المطولات يدل على أن اختلاف القائل لم يؤثر في شعر لشعراء أمير ما . ونحن بين اثنين إما أن نؤمن بأنه لم يكن هذا اختلاف بين القائل العروسي من عهد وخطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي ، وإما أن نعرف أن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القائل وما حمل عليه لا بعد لإسلام . ونحن في الثانية أميل مد إلى الأولى ، فالله أن القاصع قدّم في أن اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقته وفعه ، فاعلم أن عهداً وخطان ، عتروا القدماء ، أنفسهم بذلك كما رأيت في عمرو بن العلاء ، وشبته لحدث حديث .

وهذا شيء عيّد لأثر أو أنس لدينا ، ولدى غيرنا من أوقات ما يمكننا من استقصائه وتفصيل القوم فيه . وهو أن نعرف أندي على سبعة واحدة وطبعة واحدة هي لغة قريش وديحها لم يكدر بتأويله الفراء من القائل المختلفة حتى كثرت قراءاته وتعددت النسخات فيه وتباينت تبايناً كثيراً ، حتى الفراء ، وبعده المشأخرون في صسطه وتحقيقه وأقاموا له علماً أو علوماً خاصة . ولستأ نذكر هنا إلى هذه القراءات

التي تختلف فيما بينها أختلافا كثيرا في صسط الحركات سواء أكانت حركات بيّنة أو حركات إعراب . ليس نشير إلى أختلاف القراء في نصب "الطير" في الآية . (يَا حَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ) أو رفعها . ولا إلى أختلافهم في ضم الفاء أو فتحها في الآية . (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ولا إلى أختلافهم في ضم الخاء أو كسرها في الآية . (وَقَالُوا حِجْرًا مَحْجُورًا) ولا إلى أختلافهم في ساء الفعل مجهول أو للعلوم في لاية (أَعْلَيْتَ أَرْوَاهُ فِي ذِي ذَرْعٍ وَهُمْ مِنْ هَيْدٍ عَلَيْهِمْ سَيَّغُولُونَ) . لا نشير إلى هذا النحو من أختلاف الرويات في القرآن فذلك مسألة معصلة تعرض لما ولب يشأ عنها من النتائج إذا أتيج أب مدرس تاريخ القرآن . إنما نشير إلى أختلاف أخرى القراء ب يقله العقل ، ويسعه النقل ، ويقتضيه ضرورة أختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حركاتها وألحظها وشدها لنقرأ القرآن كما كان يتنوه التي وعشرته من قريش ، نقرأه كما كانت سكام ، فأملت حيث لم تكن تبيل قريش ، ومدت حيث لم تكن تمتد ، وقصرت حيث لم تكن تقصر ، وسكنت حيث لم تكن تسكن ، وأدعمت أو أضعفت أو قللت حيث لم تكن تدغم ولا تحذف ولا تفعل . فهذا النوع من أختلاف اللهجات له أثره الطبيعي اللارم في الشعر في أورانه ونقاطيعه وبحوره وقواميه بوجه عام .

وليسا نستطيع أن نفهم كيف استقامت أوران الشعر وبحوره وقواميه كما دونها الخليل لفنائل العرب كلها على ما كان بينا من تباين

اللغات، واختلاف اللهجات، وإذا لم يكن نظم القرآن، وهو ليس شعرا ولا مقيدا بما يتقيد به الشعر، قد استطاع أن يستقيم في الأداء لهذه القائل، فكيف استطاع الشعر، وهو مقيد بما نعم من المهود، أن يستقيم لها، وكيف لم تحدث هذه اللهجات المتباينة آثارها في وزن الشعر ونقطيته الموسيقية، أي كيف لم توجد صلة واضحة بين هذا الاختلاف واللهجة ومن لأوزن الشعرية التي كانت مضطحة بمائل ؟

سقول ولكن اختلاف اللهجات كان قائما بعد القرآن، وليس من شك في أن قائل العرب في اختلافها قد ناعطت الشعر بعد الإسلام ولم يظهر فيه اختلاف للهجات، فكما استقامت بحورده وأوزانه على هذا الاختلاف بعد الإسلام، فليس ما يمنع أن تكون قد استقامت عليه في العصر الجاهلي .

ولست أنكر أن اختلاف اللهجات كان حقيقيا وواقعيا بعد الإسلام . ولست أنكر أن الشعر قد أسفم للمائل كلها رغم هذا الاختلاف . ولكني أظن أنك متى سئيت شيئا يخص ألا تساء، وهو أن القائل بعد الإسلام قد تحدث للأدب لغة سير لعتها، وتقيدت في الأدب بقيد لم تكن لتقيد بها لو كتبت أو شعرت في لغتها الخاصة، أي أن الإسلام قد فرض على العرب جميع لغة عامة واحدة هي لغة فريش . فليس غريبا أن تقيد هذه القائل بهذه اللغة الحديدية في شعرها وثرها

في أديها بوجه عام . فهم يكنون تنجيمي أو التنجسي حين يقول الشعر  
في الإسلام بقوله بلغة عجم أو فارس ولحنها ، إمام كان يقوله بلغة  
فريش ولحنها . ومثل ذلك وصح في غير اللغة العربية من العرب  
القديمة والحديثة . كاللندورين من وادي شعرهم أندوري وأورهم  
الدورية ، وكان البويين شعرهم أيوي وأوراهم البوييه . ثم لما  
ظهرت أثنا على اللاداسوناية عمدة داح شعر اليوي والأورن البوييه  
وسر لانيكي ، وأصبح اندوريون د نطموا أو نروا يصططعون ما كان  
يصططع في أثنا من مسيح انطم والثرا . ويصططعون اللغة البوييه التي  
ذهب مذهب الأثينيين في الكلام . فهم كانوا يعدلون عن لغتهم وحنهم  
وأوراهم وأساليهم إلى لغة الأثينيين وحنهم وأوراهم وأساليهم .  
وكذلك فعل العرب بعد لاسلام عدلوا في لغتهم الأدبية عن كل  
ما كانت تتأثر به لغتهم وحنهم الحاصه في لغة الفرائس ولحنها .  
والأمر كذلك في الأمم الحديثة ، كبرى ذات الأقاليم المسائية .  
والأطراف المتاعدة والكويين الحاصي المعقد . ولست أصرب لذلك  
إلا مثلاً واحداً هو مثل فرنسا . ففي فرنسا إلى جانب اللغة الفرنسية  
لغات إقليمية لها نوحها ولحن قومها الخاص ولها شعورها ، ومع ذلك  
فأهل الأقاليم إذا أرادوا أن يظهروا آثار أدبية أو علمية قيمة يعدلون  
عن لغتهم الإقليمية إلى اللغة الفرنسية . وقليل جداً من بينهم من  
يذهب مذهب (ميستران) فيكتب في لغته الإقليمية الحاصه .



وأيضا أشعر الحاجة الى أن أصرب مثلا آخر قد يدعش له الدين  
يدرسون الأدب العربي ، لأنهم لم يتعودوا مثله من الجانبين عن تاريخ  
الأدب . ذلك أن في لغتنا المصرية العصرية لهجات مختصة وأنحاء  
مناسبة من أنحاء القول ، فلا أهل مصر العليا لهجاتهم ، ولأهل مصر  
الوسطى لهجاتهم ، ولأهل القاهرة لهجاتهم ، ولأهل مصر السفلى  
لهجاتهم . وهناك اتفاق عتقد بين هذه اللهجات وبين ما للصريين  
من شعرياتهم العامة ، فأهل مصر العليا يصطعمون أور ، لا يصطعها  
أهل القاهرة ولا أهل الدق . وهؤلاء يصصعون أورما لا يصصعها  
أهل مصر العليا . وهذا ملائم لطبيعة الأشياء . فإكان للشعر أن يجرع  
عما ألف أصحابه من لغة واحدة في الكلام . ومع هذا كله نحن حين  
نظم الشعر الأدبي أو نكتب النثر الأدبي والعلمى عدل عن لغتنا  
وذهبت لإقليمية أى هذه اللغة واللهجة التى عدل إليها العرب بعد  
الإسلام وهى لغة قريش ولهجة قرش ، أى لغة القرآن ولهجته .



فالمسألة إذن هى أن نعلم : أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد  
العربية ، وأحصت العرب سلطتها في الشعر والنثر قبل الإسلام  
أم بعده ؟ أما نحن فتوسط وهول : إنها سادت قبل الإسلام حين  
عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستجبل الى وحدة سياسية  
مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التى كانت تسيطر على أطراف البلاد

العربية . ولكن مياده أمة قریش قبل الاسلام لم تكن شيئاً يذكر  
ولم تكن تجاور المحار . فلما جاء الاسلام غمت هذه البیادة وسار  
سلطان اللغة واللهجة مع السلطات الديني والسياسي حسب الحب .  
واذن نحن اذا استنطقنا أن نسر اتفاق اللغة واللهجة في شعر  
أولئك الذين عاصروا النبي من أهل المحار ، فلن نستطيع أن نسرهم  
في شعر الذين لم يعاصروه أو لم يجاوروه .

ولدع هذه المسألة الفنية الدقيقة التي سنزف بأنها في حجة الى  
تفصيل وتحقیق أوسع وأتمثل مما يسمح لنا به المقام في هذا الفصل  
الى مسألة أخرى ليست أهل منها خطراً . وإن كان أنصار القديم  
سيحدون في بهمها شيئ من العسر والمشقة ، لأنهم لم يتعودوا مثل  
هذه الریبة في البحث العلمي . وهي أما ملاحظ أن العلماء قد اتخذوا  
هذا الشعر الجاهلي مادة للأستشهاد على ألقاط القرآن والحديث ونحوهما  
ومذاههما الكلامية . ومن الغريب أنهم لا يكادون يحدون في ذلك  
مشقة ولا عسراً ، حتى إنك لتحس كأن هذا الشعر الجاهلي إنما قد على  
قد القرآن والحديث كما يقف الذوب على قد لانه لا يريد ولا ينقص عما  
أراد طولاً وسعة . إذن ونحن نجهز بأن هذا ليس من طبيعة الأشياء ،  
وأن هذه الدقة في الموازنة بين القرآن والحديث والشعر الجاهلي لا ينبغي  
أن تحمل على الأطلنثان إلا الذين ررقوا خطأ من السداحة لم يتبع لنا  
مثله . إنما يجب أن تحمنا هذه الدقة في موازنة على الشك وخيرة  
وعلى أن نسأل أنفسنا : أليس يمكن ألا تكون هذه الدقة في الموازنة

نتيجة من نتائج المصادفة، وإلى هي نتيء مكلف وطلب وأتفق فيه  
أصحهاه بياض الأمام وسواد اليدى ° يجب أن يكون على حط عظم  
حدا من السداحة لمصطفى أن فلانا قتل على آبن عباس وقد أعدته  
طائفة من المسائل نحاو المائتين حول لعمه القرآن فاحد بلوى عليه  
المسألة، قد أحاط عليا سألته وهل تعرف العرب ذلك فى أشعرها °  
فيقول: نعم ! هل مرؤ لقص أو قال عنده أو كان سيرهما من أشعراء  
ويشدد بيتا لا تثبت ركت من أهل لعمه فى أنه يك وضع ليثبت  
صحته الخط لدى يستشهد به من أعاطه العرب !

وهذا خمس أمر من هذه الأمور فى سيعصم هـ أصدر لأنت  
القديم، ولكن سمعى فى طريقا كما سألته لأمور بين ولا محدعين  
أليس من الممكن أن يكون قصه آبن عباس وضع بين الأرق  
قد وضعت فى تكلف وتضع لمرص من هذه لأعراض المحفة  
اننى كانت تدعو لى وضع الكلام، وأجابه : إننا أن أعاطه لقرآن  
كلها مظاهرة، مصصيح من لغة العرب، أو لإننا أن عبد الله بن عباس  
كان من أقدر الناس على تأويل القرآن ومفسره وعن أحفصهم  
لكلام العرب الجاهيين ° وأنت تعلم أن ذكره آبن عباس كانت  
مضرب المثل فى القرن الثانى والثالث للهجرة . وأنت تذكر قصته  
مع بايع بن لأرق هذا، وعمر بن نى ربيعة حين أنشده :  
« أومن آل نعيم أنت عادى همك » . وأنت تعلم أن عبد الله بن عباس

كان به مؤثر أحد عنه لعم ونقله إلى أساس ودرس على مولاه شيئا  
كثيرا ، وهو عكرمه . وثبت نعله أن إثبات هذا الحفظ الكثير لعبد الله  
آمن عباس لم يكن يحتمل فائدة حسنة ، لأن آمن عباس روى أشياء  
كثيرة أو روى عنه أشياء كثيرة تقع الشبهة ، ولأن آمن عباس  
أحب دفع ما لا يروق حين قال به . رأيت أحفظ منك  
باس عباس ، بقوة . ما رأيت أحفظ من آمن . وثبت تعلم أن هذا  
حديث ترويه الشيعة جعل في مدينة العلم ، ويجعل عب بابها .

بل ليس يمكن أن يكون قصة آمن عباس هذه قد وضعت  
في مداجة وسهولة ويسر ، لا شيء إلا هذا العرض التعليمي الأسير ،  
وهو أن يسمع الطالب لفظا من الفاظ القرآن ويحمد الشاهد عليه  
من غير مثله ولا بناء . أرد أحد العلماء أن يعسر طائفة من الفاظ  
القرآن فوضع هذه القصة وأخذها سلا إلى ما أراد . ولعل لهذه  
القصة أصلا سيرا حد ، بل « فعا سأ آمن عباس عن مسائل قبيلة  
مروية في هذا العدد ومثله حتى أصبحت رسالة مستقلة يتداولها الناس .

وهذا النحو من تكلف ولا محال لأغراض التعليمية الصرفة كان  
شائعا معروفا في العصر العباسي ولا سيما في القرون الثالث والرابع .  
ولست أريد أن أطيل ولا أن أتعق في إثبات هذا ، إنما أحيلك إلى  
كتاب " الأمانى لأبي علي لقالى " وإلى ما يشبهه من الكتب مسترى  
طائفة من الأفاضل والأوصاف تنسب إلى الأعراب رجالا ونساء

شبه وشبه . سترى ملا ست سعد اجمعين وتواضعن فراس تائبين .  
 فتعول كل وحده من في فرس آية ، كلاما عريضا وسجوة يا حده  
 أهل السادة على أنه قد قيل حقا ، في حين أنه لم يقل ، وإنما كتبه  
 معلم يريد أن تعطف بالاميد اوصاف حيل ومنازلها ، أو عالم  
 يريد أن سقمى ويصهر كثرة ماوى من العلم . وكل من ذلك في سبع  
 ست احتمل من هو صمد مثل الأعلى لروح لدى صمد فيه كل واحدة  
 من ، فاحد من كلام عريضا وسجوة في وصف نرجوة وغنوة  
 والعرض أو التلميح في ما حب مرأه من رحمن .

وهذا حد كثر شعر ونثر وسجوة ، عدد في الآيات وعقد عريضا  
 ودوب لمعانى لأى حال وعير من كتب . واكثر اعتدال  
 هذا النحو من لا يحل هو أصل له من وما يشبهها من هذا نوع  
 من أنواع الإنشاء .

والكنى بعدت عن موضع في صهر . ولا عند آية لأقول ما كتب  
 أقول مسد من ، وهو أن من حق سدا لأنفسه وعلم أن سأل .  
 أبس هذا شعر جده الذي ثاب أنه لا ينال جيد عرب جاهلين  
 ولا عظيمهم ولا دياناتهم ولا حصرتهم من لا ينال لعنه ، أبس هذا  
 التعرف قد وضع وصفا وحسن من أفعاله حملا بعد لاسلام . أما أنا  
 فلا أكاد أشك الآن في هذا . وكنا نحاول بعد أن شئت له هذه  
 النظرية أن تبين لأسباب مختلفة اتى حب من على وضع الشعر  
 واتحاله بعد الاسلام .

## الكتاب الثاني

### أسباب انحلال الشعر

#### ١

#### ليس الانحلال مقصورا على العرب

يجب أن يتعود الباحث درس تاريخ الأمم القديمة التي قد رها  
أن تقوم شيء من حلائل "الانحلال" وما أعترض حياتها من الصعاب  
والخس وألوان الخطوب والمصروف، ليتهم تاريخ الأمة العربية على  
وجهه ويرد كل شيء فيه إلى أصله . ودا كان هناك شيء يؤحد  
به الدين كسوء تاريخ العرب وآدمهم قد يفتوا إلى الحق به . فهو  
أهم لم يأتوا لمسا كما في تاريخ هذه الأمم الحديثة ، ولم يحط بهم  
أن يقدروا بين الأمة العربية والأمم التي حلت من قبلها ، وما بطروا  
إلى هذه الأمة عربية كأنها أمة قد لم تعرف أحدا ولم يعرفها أحد ،  
لم تشبه أحدا ولم يشبهها أحدا ، لم تؤثر في أحد ولم يؤثر فيها أحد ، قبل  
قيام الحضارة العربية و سيطر سلطانها على العالم القديم .

واحق أهم لو درسوا تاريخ هذه الأمم القديمة وقاربوا بينه وبين تاريخ العرب لتغير رأيهم في الأمة العربية ، وتغير بذلك تاريخ العرب أنفسهم ، ولست أدكر من هذه الأمم القديمة إلا أمتين اثنتين : الأمة اليونانية والأمة الرومانية . فقد فتر طائفتين الأمتين في العصور القديمة مثل ما فتر للأمة العربية في العصور الوسطى . وكلتاها تحصرت بعد بداءة . وكلتاها حصعت في حياتها الداخلية لهذه العصور السياسية المختلفة . وكلتاها آنتت الى نوع من التكوين السياسي دفعها الى أن تتجاوز موطئها الخاص وتُعبر على السداد المحاورة وتسط سلطانها على الأرض . وكلتاها لم تسط سلطانها على الأرض عتاً وانما سمعت وآسمعت وتركزت للانسانية تران فيما لا تزال تنفع به الى الآن : ترك اليونان فلسفة وأدب ، وترك الرومان تشريعاً ونظاماً .

وكذلك كان شأن هذه الأمة العربية ، تحصرت كما تحصر اليونان والرومان بعد بداءة ، وتأثرت كما تأثر اليونان والرومان بصروف سياسة مختلفة ، وآنتى بها تكوينها السياسي الى مثل ما أنتى التكوين السياسي لليونان والرومان اليه من تحاور اعدود الطبيعية وبسط الساطان على الأرض ، وتركزت كما ترك اليونان والرومان للانسانية تراناً فيما حالدا فيه أدب وعلم ودين . وليس من المعجب في شيء أن تكون العوارض التي حرصت حياة العرب على اختلاف عروغها مشبهة للعوارض التي حرصت على حياة اليونان والرومان من وحوه كثيرة .

وفي الحق أن التفكير الهادئ في حياة هذه الأمم الثلاث ينتهي ما إلى نتائج متشابهة إن لم نقل متحدة. ولم لا<sup>١</sup> أليست هذه الإشارة التي قد سماها إلى ما بين هذه الأمم الثلاث من شبه مكفى لتحملك على أن تفكر في أن مؤثرات واحدة أو متقاربة قد أثرت في حياة هذه الأمم فانتهت إلى نتائج واحدة أو متقاربة !

ولسا يريد أن يترك الموضوع لدى نحن بإرائه للبحث عما يمكن أن يكون من اتفاق أو افتراق بين العرب واليونان والرومان ، فعلى لم يكتب هذا ، وإنما يريد أن يقول إن هذه الحضارة لادبية التي تحاول أن تدرسها في هذا الكتاب والتي يجرع لها أنصار القديم حرجا شديدا ليست مقصورة على الأمة العربية ، وإنما تتجاوزها إلى غيرها من الأمم القديمة ، ولا سيما هاتين الأممين الخالدتين . هل تكون الأمة العربية أول أمه التي تتجلى فيها الشعر انتحالا وحمل على قدميها كده وروما ، وإنما أنتحل الشعر في الأمة اليونانية والرومانية من قبل وحمل على القدماء من شعرائهما ، وأخذع به الناس وأمواله ، ونشأ عن هذا الانخداع والإيمان سنة أدبية توارثها الناس مضمثين اليه ، حتى كان العصر الحديث وحتى استطاع النقاد من أصحاب التاريخ والأدب واللغة والفلسفة أن يردوا الأشياء إلى أصولها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وأنت تعلم أن حركة النقد هذه بالقياس إلى اليونان والرومان لم تنته بعد ، وأنها لن تنتهي غدا ولا بعد غد . وأنت تعلم أنها قد وصلت إلى نتائج غيرت تغييرا تاما ما كان معروفا متوارثا من تاريخ هاتين



الأمميين وآدابهم. وأنت د فكر منو افقنى على أن مشأ هذه الحركة  
التقديية انه هو في حقيقته الأمر نأثر اساحتين في الأدب والتاريخ هذا  
المصيح الذي دعوت به في أول هذا الكتاب، وهو مصيح (ديكارت)  
الفلسفي .

وسواء رصبنا أم كرف فلا بد من أن نأثر هذا مصيح في بحثنا  
العامي والأدبي كما نأثر من قبلنا به أهل 'عرب' . ولا بد من أن  
نصطبه في نقد داسا وناريخنا كما اصطبه أهل 'عرب' في نقد دهم  
وتاريخهم. ذلك لأن عقولنا نفسها قد أحدثت منذ عشرات من السنين  
تغير وتصبح عربية، أو من أقرب إلى العربية منها إلى شرقية. وهي  
كأن مضى عليها الزمن حدث في التعبير وتسرعت في الانصر أهل 'عرب' .  
وإذا كان في مصر الآن قوم يصرون القديم، وآخرون يصرون  
الحديث، ليس ذلك إلا لأن في مصر قوما قد صطمت عقابهم بيده  
الاصمة العربية، وآخرون لم يصغروا منها تحط أو لم يطهروا منها، لا  
يحط قليل . و نشار نعم انه في مصر وارد اذ اشارة من يوم إلى  
يوم . وتعد اليهود الفردية ولا حية به ان نشر هذا نعم 'عربي' .  
كل ذلك سيفضي عدا أو بعد عد أن يصح عقد عربياء وأن  
ندرس آداب العرب وتاريخهم متأثرين بمصيح (ديكارت) كما فعل أهل  
العرب في درس آدابهم وآداب اليونان والرومان .

ولقد أحب أن لم ابدأ قليلا بأي كتاب من هذه الكتب الكثيرة  
التي تشر الان في أوروبا في تاريخ الآداب ابونانية أو اللاتينية، وأن

تسال نفسك بعد هذا الإلمام ماذا بقي مما كان يصعد القدماء في تاريخ  
الآداب عند هاتين الأمتين أحق .. كان يعتقد القدماء في شأن  
الإله والأوديسا .. أحق .. كانوا يحتشرون به بل ما كانوا يؤمنون به  
في شأن (هوميروس) و (هيرودوس) وغيرهما من الشعراء القصصيين ؟  
أحق ما كان القدماء يتخذونه أساسا لسياسهم وعلمهم وأدبهم وحياتهم  
كلها من أحوال اليونان و (لوروس) .. بل من جديد حقا أن نقرأ ما كتب  
(هيرودوت) في تاريخ اليونان ، و (توس ليعوس) في تاريخ الرومان ،  
وما كتب المحدثون الآن في تاريخ دين الأميين ، ولكم لا تكاد  
تجد شيئا من الفرق بين ما كان يحدث به من استحقاق ويروي به القنرى  
من تاريخ العرب وأدبهم ، وما يكتبه المؤرخون والأدباء عن العرب  
في هذا العصر . ذلك لأن الأكثر من هؤلاء المؤرخين والأدباء لم يقرأ  
بعضهم هذا المدح الحديث ، ولم يستطع بعد أن يؤمن بشخصيتها وأن  
يخلص هذه الشخصية من الأوهام والأساطير .

و إذا كان قد قدر لهذا الكتاب ألا يرضى الأكثر من هؤلاء الأدباء  
والمؤرخين محض وانهم قد أدركوا ذلك بل صيره وان بدل من تأثيره  
في هذا الجيل الناشئ ، والمستقبل المبهج (ديكارت) لا يلدح القدماء .

## السياسة والتخال الشعر

فمت باب العرب قد حصصوا لئلا ، حصصت له الأمم القديمة من المؤثرات التي دعت الى التخال لشعر والأحجار . ولعل أهم هذه المؤثرات التي طمعت الأمة العربية وحياتها بطرح لا ينجى ولا يرون هو هذا المؤثر الذي يصعب تمييزه والفصل فيه ، لأنه مزيج من عصرين قوين هذا ، هما الدين والسياسة . والحق أن لاسبيل الى فهم تاريخ الاسلام مهما تختلف فروعه إلا اذا وصحت هذه المسألة (مسألة الدين والسياسة) نوصيحا كافيا . فقد أرادت الظروف ألا يستطيع العرب مد طهر الاسلام أن يخصصوا من هذين المؤثرين في خطوة من الخطوات حياتهم في العرين الاول والثاني .

هم مسلمون لم يظهروا على العالم إلا بالاسلام ، فهم محتاحون الى أن يعترفوا بهذا الاسلام ويرصوه ويحددوا في انصالحهم به ما يصمن لهم هذا الظهور وهذا السلطان الذي يحرصون عليه . وهم في الوقت نفسه أهل عصبة وأصحاب مطامع ومنافع ، وهم مضطرون الى أن يرعوا هذه العصبية ويلتزموا بنمائها وبين مدعهم ومطامعهم ودينهم .

وإذن فكل حركة من حركاتهم وكل مظهر من مظاهر حياتهم  
 متأثر بالدين ، متأثر بالسياسة ، وإذا كانت حياتهم كما نصف بأنها متصلا  
 بالدين والسياسة ، واجتهاد متصلا في لوميق بينهما ، أو عبارة أوضح  
 في الاستدلال ، فإنها جميعا ، تخضع للتأثير السياسي أو الأدبي أو الاجتماعي  
 أن يجعل مسألة الدين والسياسة عند العرب أساسا للبحث من الفروع  
 الذي يريد أن يبحث عنه من فروع التاريخ ، وتدرى عند ما تعمق  
 بحث قبلا في هذا الموضوع أن ليس علاه ولا محطس .

وأول ما ينبغي أن نلاحظه ، هو هذا الجهاد العنيف الذي اضطر  
 بين أسى وأصحابه من « حنة » و « بن قريش » ونحوها من « حجة أخرى »  
 أما في أول عهد الإسلام فانطهر حين كان أسى وأصحابه في مكة  
 مستضعفين فقد كان هذا الجهاد حديا حاصرا ، وكان لبي تكاد تقوم  
 به وحده نازا الكثرة المطلقة من قومه ، يجادلهم بالقرآن ويقارعهم  
 بهذه الآيات المحكمات ، فسلح مهمهم ويهجمهم ويضطرمهم إلى الإعياء ،  
 وهو كلما بلغ من ذلك حصص انتصر له من قومه وسرق حتى يكون له  
 حرب ذو خطر ، ولكنه لم يكن حربا سياسية ، ولم يكن ضلع في ملك  
 ولا ثقل ولا فخر ، أو لم يكن ذلك في دعوته . غير أن هذا الحرب  
 كان كلما اشتدت قوته وقوى أثره اشتدت مناصلة قريش له وممنه ،  
 إليه حتى كان ما علم من المحجرة الأولى ثم من هجرة النبي إلى المدينة .  
 وليس هذا موضع البحث عن هذه المحجرة إلى المدينة ، وبما اعتد  
 الأنصار لنصر لبي وإيوانه ، وعن النتائج المختلفة التي أتت بها المحجرة .

ولكننا نستطيع أن نسجل مطمئنين أن هذه طحجرة قد وصفت مسنة  
الخلاف بين النبي وقريش وصفا حديدا، حملت الخلاف سياسيا  
يعتمد في حله على القوة وليسف بعد أن كان من قبل دينيا يعتمد على  
الجدل والمصالحة بحجة ليس غير .



مد هاجر النبي إلى المدينة تكوّن للإسلام وحده سياسة لها قوتها  
المساقية وأنها شديدة وأحب قريش أن الأمر قد تحاور الأوثان  
والآراء الموروثة والسن القديمة، من شيء آخر كان فيما يظهر أعظم  
خطرا في نفوس قريش من الدين وما يتصل به، وهو السيادة السياسية  
في الحجاز، والضرب التجارية بين مكة وبين بلاد بني كنانة التي كانت  
تجارتها في الشتاء والصيف . وثبت نعلم أن الأسبلاء على العبر هو  
أصل الوقعة الكبرى الأولى بين بني قريش وقريش في بدر . فليس من شئ  
أدنى في أن الجهاد بين بني قريش وقريش قد كان دينيا حاصلا ، أقام بني  
في مكة . فلما انتقل إلى المدينة أصبح هذا الجهاد دينيا وسياسيا  
واقتصاديا ، وأصبح موضوع النزاع بين قريش والمسلمين ليس مقصورا  
على أن الإسلام حق أو غير حق ، بل هو يتناول مع ذلك الأمة العربية  
أو المخارية على أقل تقدير لمن تدعى ، والطرق التجارية لمن تخضع .

وعلى هذا النحو وحده نستطيع أن نفهم سيرة النبي مد هاجر إلى  
المدينة لا مع قريش وحدها بل مع غيرها من العرب ، بل مع اليهود أيضا .

ولكننا لا نكتب تاريخ النبي ، وإنما يريد أن يصل مسرعين إلى ما يعيننا من هذا كله ، وهو أن استعالة الجهاد إلى جهاد سياسي بعد أن كان جهادا دينيا قد استحدثت عداوة بين مكة والمدينة ، أو بين قريش والأنصار لم يكن موجودة من قبل . فاسيرة نخشأ بأن صلات المؤتة كانت قوية بين قريش وبين الأوس وخرج قس أن يهاجر النبي إلى المدينة ، وكان ذلك معقولا وطبعيا ، فقد كان الأوس والخرج على طريق قريش إلى الشام ، ولم يكن يد هذه المدينة التجارية التي تسمى مكة من أن تؤمن طرفها التجارية وتوثق صلات الوء مع الذين يستطيعون أن يعرضوا هذه الطرق للخطر .

نشأ إذن بعد احجرة عداوة بين مكة والمدينة ، وما هي إلا أن أصططعت هذه العداوة بالدم يوم أنصر الأنصار في "نذر" ويوم انتصرت قريش في "ثُحْد" . وما هي إلا أن أشترك اشعري هذه العداوة مع السيف ، فواف شعراء الأنصار وشعراء قريش يتهاجون ويتجادلون ويتناصلون ، يدافع كل فريق عن أحسابه وأسابه ويُشيد نذكر قومه . ثم كان الموقف دقيقا ، فقد كان شعراء الأنصار يدافعون قريشا عن النبي وأصحابه وهم من قريش ، وكان شعراء قريش يهاجون مع الأنصار النبي وأصحابه ، وهم من حلاصة قريش . ويجب أن يكون هذا الموضع قد بلغ أقصى ما يمكن من الحدة والعنف ، فإن النبي كان يحترص عليه ، وينيب أصحابه ويعتصمهم ، مثل ما كان بعد

المقاتلين من الأحرار والمنوبة عند الله ، ويتحدث أن حبريل كان يؤيد  
حسانا .

كثير الضياء إذن وشند من قريش والأصهار لما كثرت الحرب  
واشتدت . وأنت تعلم مقدار خطب العرب من العصبية وحرصهم على النار  
للدماء المسفوك . وحدثني في الدعاء عن الأعرص المستهكة . فليس غريبا  
أن تنزع الصبية من هدير حرس من أهل محمد فصي ما كانت  
تستطيع أن تنزع .

ومد محمد قريش في جهدها ، أسنان ونلسان والأنفس  
والأموال ، وأقام من أعاصير من العرب واليهود ، ولكن لم يوفق .  
وأمنت ذات يوم ودا حبل مني قد أطقت مكة ، مطر رعبها  
وحارمها أبو سفيان فإذا هو بين القلتين : إما أن يمضي في المقاومة فتضي  
مكة ، وإما أن يصارع ويخضع ويدخل في رحل منه ، من وينظر  
لعل هذا السلطان سيأتي لئلا يفل من مكة إلى حذيه ومن  
قريش إلى الأنصار أن يعود من قريش إلى مكة مره أخرى . أسلم  
أبو سفيان وأسلمت معه قريش . وتب لبني هذه لوحدة العربية ،  
ولقي زهاد على هذه الدار التي كانت متاخمة من قريش والأنصار ،  
وأصبح الدس جميعا في ظاهر الأمر : حواء مؤلفين ولبس .

ولعل النبي لو عمر بعد فتح مكة رما طويلا لاستنصر أن يخرج  
تلك الصعائش ، وأن يوجه نفوس العرب وجهه أخرى ، ولكنه توى

بعد الفتح بقبيل ، ومع . . . . . له لخلافة ، ولا دستوراً لهذه الأمة التي  
يجمعها مد فرقة . بأي عرامة في أن تعود هذه الصفات إلى الظهور ،  
وفي أن تستيقظ لنفسه بعد نومها ، وفي أن يرول هذا الرماد الذي كان  
يعمى تلك الأحقاد .

وفي الحق أن النبي م يكذب يدع هذه الدنيا حتى تحتف المهاجرون  
من قريش والأنصار من الأوس والخزرج في الخلافة أين تكون " ولن  
تكون " وكاد الأمر يقسم بين لفرقيين لولا نية من دين وحرم عمر  
من قريش ، ولولا أن قوة غاذية كانت اد ذلك الى قريش . فما هي  
إلا أن أدعت الأنصار وقتلوا أن تخرج منهم الإمارة الى قريش ، وطهر  
أن لأمر قد أسفر بين الفريقين ، وأهم قد أحجموا على ذلك لا يخالفهم  
فيه إلا سعد بن عبادة الأنصاري لدى أني أن يسبع أب بكر ، وأن يسابع  
عمر ، وأن صلى بصلاة المسلمين ، وأن يحج بحجهم . وظل يمثل المعارضة  
قوى الشكيمة ماضي العزيمة ، حتى قل عيلة في بعض أسفاره . قتله  
الحس فيما يرعى الرواة . وانصرفت قوة قريش والأنصار الى ما كان من  
استقص العرب على المسلمين أيام أبي بكر ، ولما كان من الصوح  
أيام عمر . ولكن المقيمين من أولئك وهؤلاء في مكة والمدنية لم يكونوا  
يستطيعون أن يسوا تلك الخصومة العيفة التي كانت بينهم أيام النبي ،  
ولأن تلك الدماء التي سبكت في العروات .

وليس من شك في أن حرم عمر قد حال بين المهاجرين والأنصار ،  
أو عبارة أصح : بين قريش والأنصار وبين الفتنة . فأرواة يتحدثوننا أن



عمر بنى عن روايه شعر الندى بها حتى به المسمون ومثركون أيام  
ابن . وهذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى ، وهى أن فرشتا  
والأخبار نذاكروا ما كان قد سما به بعضهم بعض يوم بنى ، وكبوا  
حراما على روايته يخذون فى ذلك من اللد وشبهه مما يشع به إلا  
صاحب العصبية القوية اذا وتراؤ شعر .

وقد ذكر لروى أن عمر مررت يوم ود حيا فى امر من  
لمسهم بشدهم شعرا فى مسجد بنى ، فأخذ يديه وهن أراء كراء  
الغير . قال حسان ابن عبي عمر . فوسه نكد كنت شه فى هذا  
المكان من هو خير منك فى رضى . فضى عمر وتركه . وفقه هذه الرواية  
يسر من بلا حصر ، فقدم من أن لأخبار كاتر مؤثر بن . وثب  
عصبيه كات لا تطعن فى تصرف لأمر غيره ، فكما يتفرون  
بصرفهم بنى وبتصايفهم من فرشت وه . كان هم من الـ . ومن موت  
البنى وه . أودو . أذهب . وأشد من محمد .

وكان عمر فرشت بكاه عصبه أن برى فرشت . وسكا ما عصبها  
من هبة ، وه شيع عمر من مك . وكان يوم قد كاه أمير حارما  
يريد أن يحصد أمور اربيه ، وأن يؤسس ملك مسلمين على شىء غير  
العصبية . وقد وفق بعض اربى . ولكنه لم يصر بكل ما كان يريد .  
تحدث لروى أن عبد الله بن اربى وصير بن الخطاب قدما  
بمدينة . ثم عمر قدما فى أن أحمد بن مخش . وكان رجلا صريرا حسن

الحديث أنه لم يس ويختنن عمداء ولا حثالك لدعوا له حسان  
 ابن ثابت لينشد، ويشده، قال : هو ما يريدن، وأرسل إلى حسان  
 خطباء، قال : هذين نحو من قد أفعلا من مكة يريدن أن يسمعاك  
 ويسمعانك، قال حسان : إن شئت وعدت وإن شئت بدت، قالوا :  
 من بدت فأحد يشده ثم مات فريس في الأضمار حتى مات وأحد  
 يعلى كالمرحل، فلهذا سوي كل منهما على راحته وهضبة في مكة،  
 وذهب حسان معصيا في عمر وقص عليه عمر : قال عمر : سأردهما  
 عليك إن شاء الله، ثم أرسل من رذمه، حتى دكا بين يدي عمر ومعه  
 مهر من أصحاب النبي، من حسان شديدا، مسنت، وأسدهما حتى  
 اشتقي، وقال عمر بعد ذلك : فيما حدث، صد حب لأعاني قد كنت  
 نهيكم عن زوية حد الشعر لأنه يوقف صعدن، فأما بدأوا وكتبوه،  
 وسوء فون عمر هذا ثم لم يعله - فتدكا الأضمار يكسون هههم  
 لقريش ويحرمون على ألا يصنع .

قال ابن سلام : وقد عرفت قريش ناد حظي من العرب قليل  
 في خاديه، فكثرت منه في الإسلام، وليس من شك عدي في أس-  
 سكثرت سوء خاص من هذا الشعر لدى هجتي فيه الأضمار .

وما قبل عمر و انتهت الخلافة بعد لمشفه إلى عثمان، تنامت  
 الفكرة سيامية التي كانت تشعل أما بعد لخطوة أخرى، فله نصيح خلافة  
 في قريش لحسب، ال أنصحت في حي أمية خاصة، وأشتت عصبة

قريش ، وأشدت عصبية الأمويين ، وشدت اعصبت الأخرى بين العرب ، وقد هدأت حركة الفتح ، وأحد العرب يفرغ عصمهم لعص .  
وكان من نتائج ذلك ما نعلم من قبل عثمان وعمر بن الخطاب المسلمين ونهاء الأمر كله إلى أي أمة بعد تلك التي وخروب .

في ذلك الوقت تعيرت خطة الحبيبة سياسية أو معنوية أدق :  
فتمت هذه الخطة التي كان يخططها عمرو . وهي مع العرب أن يتدكروا ما كان بينهم من انصهار في الإسلام . وعند العرب في شتر ما كانوا فيه في جاهليتهم من التماس والتمسح في جميع الأنصار الإسلامية . ويكفي أن أقص عليك ما كان من تماس شعراء من الأنصار وغيرهم عند معاوية ويريد من معاوية ، نعلم أن أي حدث ناد العرب في ذلك الوقت إلى عصبيتهم القديمة .

وأنت قرأت ذلك لقصة التي حبرها أن محمد الرحمن بن حسان شجب رثمة بنت معاوية بكافة في أبيه . فأما معاوية فاصطع الحلم كعادته ، وقال لعدد أرحم فليس أنت من أختها هذا وأما يريد فقد كان صورة خذ أي شيبان ، كان رجل عصبية وفؤة وثق ويحط على الإسلام ومسته لئس من سب . فأعزى كعب بن جعيل بهاء الأنصار ، واستعاه وقال . أتريد أن تردني كافر بعد إسلامي فأعزى الأخطل وكان بصرايا فأحابه وهما الأنصار هاء منذنا مشهورا .

قلت . نريد كان صورته صادقة للحد في شيبان ، يؤثر العصبية على كل شيء . وأنت لا تنكر أن يريد هو صاحب وقعة الخزة التي انتهكت

في حرمان الأنصار في المدينة، والتي استقرت فيها قریش من الذين انتصروا تبها في بدر، والتي لم تنم للأنصار بعدها قائمة، ولأمر ما يقول الرواة حين فضول ووجه الحزة إنه قد قتل فيها ثمانون من الذين شهدوا بدر، أي من الذين أدلوا قریشا .

وسب في حجة أن أقص حدث هذه القصة الأخرى التي تمثل لنا عمرو بن العاص وقد صافى درعا الأنصار حتى كره اسمهم هذا، وطلب إلى معاوية أن يحويه، واصصر الحبان بن شير وهو الأنصاري الوحيد لدى شيع بني أمية إلى أن يقول .

باسعد لا تحب الدعاء فإنا نسأجيبه سوى الأنصار  
نسأ تحيره الإله اقومنا نثقل به نسأ على الكفار  
إن الذين نؤوا بدر مكم يوم القيس هم وقود النار

وقد سمع معاوية هذا الشعر فلام عمرا على تسرعه ليس غير . فلم يكن معاوية أقل إعجاب الأنصار ونعسا لقریش من مشيره عمرو، أو ولي عهد يريده . ولكن أصحاب هذه العصبية لقرشية كانوا يتفاوتون فيما بينهم تفاوت شديد، فكان منهم اسرف كبريده، والمقتصد كعوية . وكان منهم من يتجاوز الاقتصاد في العصبية أي شيء ينشأ العطف على الأنصار والبراء لهم . ولعل الزبير بن العوام كان من هؤلاء العاطفين على الأنصار الزائين لم الحافظين لمهدم والزاعين لوصية أبيي فيهم، فقد يحدثنا الرواة أنه مر بغير من المسلمين فإذا فيهم حسان يشدهم .

وهم غير حافلين بما يقول ، فلامهم على ذلك وذكركم موقع شعر حسن  
من النبي ، وأثر ذلك في نفس حسان فقال يمدحه . وأحب أن تلتفت  
إلى أول هذه الشعر ، فهو حسن الدلالة على ما أريد أن أثبت من  
دخول الحزن على هوس الأنصار لهذا الموقف الجدي الذي وقفته منهم  
قريش - :

أقام على عهد النبي وحذيه	حواريه والقوم بالمعمل يعدل
أدم على مهاحه وطريفه	يؤاني ولي الحق والحق أعدل
هو بنارس المشهور والنبل ابدى	صول دا ما كان يوم محمل
إذا كشفت عن ساقها حرب حشم	بأبيض ساق في أموت يرقل
وإب امرأ كانت ضيقة منه	ومن أسد في بيتها لمقل
له من رسول الله قرني عرسه	ومن نصره الإسلام محمد مؤئل
فكم كربة دب الرير بسعه	عن المصطفى والله يعطى فبحول
فما مثله فيهم ولا كالب قلند	وليس يكون الدهر ما دام يدس
شاؤك خير من فعال معاشر	وفعلك يأس الحاشية أفصل

فانظر إلى هذين بيتين في أول المقطوعة كيف يمثلان ذكر حسان  
بعهد النبي وحرمة عيه وأسفه على ما تاب الأنصار من موالاته التي هم  
وإنصافه إياهم . ولكن بقية هذه الأبيات تدعو إلى شيء من الاستبصار  
لا بأس به ، لأنه لا يتجوز لموضوع كثيرا ، فقد يظهر من قراءة هذه  
الآيات أنه قد قصد بها إلى الإلحاح في مدح الرير وإحصاء مآثره .  
وقد يظهر أن في آخرها صمعا لا يلائم قوة أولها .

وقد روى هذه القصة نهر من آل الرير ومن أحفاد عبد الله بن  
الرير بالدقفة . أفنتعد أن تكون عصبية ريرين قد مذت هذه  
الأسات وطولتها وتجاوزت بها ما كان قد أورد حساب من الاعتراف  
باجل أنى ما كانت تريد العصبية لريرية من عصيل الرير على منافسه  
أو على مدعى به عند الله يوم حاص .

و سطراد آخر لأأس به بأنه يثيت ما نحن فيه أصداً وقد ذكرت  
لك ما كان من هذا لأحطل للأصداً وهم يتحدثون . كما رأيت أن  
العمان بن بشير عصب هذا شعاء وأسد بن بدى معاوية أساتاً رويها  
لك ، فسنرى فيها مثل ما رأيت في أبيات حسان من ثر هذه العصبية  
التي عصف أنى شعراء ما لم يقووا . وقد كان العمان بن بشير في الأنصار  
يتعصب بمرش ولبنى أمة أو من يماشيهم الناس للبيع عندهم . وقد  
تحدثوا أنه كان الأنصارى الوحيد بدى شهد صميمين مع معاوية .  
كما كان الرير من هذه النمة الرشبة التي كانت تعطف على الأنصار  
ذكر العهد التي ، وأحدثت بموذه الأنصار يوم حاحة ، قال  
العمان بن بشير لمعاوية :

معاوية ، لَا تَقْطِطِ الْحَقَّ تَعْرِفُ	يَحْنِي الْأَرْدَ مَشْدُوداً عَلَيْهِ الْعَهْمُ
أَيْشُمُّ عَسْدَ الْأَرْاقِمِ صَلَّةٌ	وَمَدَّ الْمَدَى تُحْدَى عَيْكَ لِأَرْاقِمِ !
مَسَالِي نَارٍ دَوَّابٍ قَطَعَ لِسَاهُ	وَمَدَّ مَن رُصِيهِ عَيْكَ الْمَدْرَمُ
وَرِاعَ رَوِيدَا لَا تَشُمُّ دَيْتَةً	لَعَلَّكَ فِي بَعَثِ الْحَوَادِثِ نَادِمُ

متى تنق ما عصه حررحه  
 وتلك حيل كلفها مستطرد  
 يسومها العمدان عمرو من عامر  
 ويسدو من أخود العزيرة حملها  
 فطلب شعب الصدة بعد شامه  
 ولا تنوى الأمة شعية  
 واسمر حتى كان كعبه  
 قال كنت له شهيد سدر وقعة  
 فائل ما حتى نوى من باب  
 ألم يدور وه يدور سيوف  
 صرناكم حتى نسرز حردك  
 وددت من لب حرد عمر نس  
 وعصب برش بالأمل بقصة  
 وكان في كل أمر مكيد  
 ما إن رمى راء وأوهى صعد  
 وبنى لأعصى عن مور كنبه  
 ضاع وبها عسد شمس وري  
 فما أنت والأمر الذي لست أهله  
 اليهم يصير الأمر بعد شتانه  
 بهم شرع الله الهدى فاختدى بهم

أو الأوس يوما تخترتك المخارم  
 شطيط أرسل عليها اشكالم  
 وعمران حتى تسبح المخارم  
 وتبيض من هول السيوف المقدم  
 فتعريه وآل وأمر سام  
 ورت من وأبيض صادم  
 نوى القسب فيها لهدى خثارم  
 أدت قريشا والأوف روام  
 وأنت بما يحى من الأمر عالم  
 وإسلك عما ناب قومك قائم  
 وطارت أكفكم وحماجم  
 وأنت على خوف عليك التمام  
 ومن قبله عنت عيت لأدام  
 مكان الشحا والأمر فيه تعاقم  
 ولا صامتا يوما من الدهر ضائم  
 سرق بها يوما إليك السلام  
 تلك التي في لنفس منى أكام  
 ولكن ولي الحق والأمر حاشم  
 من لك بالأمر الذي هو لازم  
 ومنهم له هاد إمام وخاتم

فصاهر حداث هده لأسات الثلاثة الأخير على أول تقدير قد  
 حلت على المعان بن شعر حملا ، حملا عليه لشعبة . ومع أسا علم أن  
 الأنصار حين أحضر الحكم مصعب عن قرش ، وواصبه موفهم  
 السببي في نبيد الحرب لم يوثق في أمه . وضموا في في . فلما  
 نكث في أن المعان بن شير لم يكن هاسي لمذهب ولا عوى الزنى ،  
 إنما كان أمويا أو عارة أصح : سفيدي . بعد أحسن . قبل الأمر من  
 آل أبي سفيان إلى مرو . بن حكم حول عن الأمويين إلى ابن الربيع  
 وقتل في ذلك .

فإن يرى في في حداث كات مصدرة في بيت حرش ولأنصار .  
 وثبت يرى تأثير في شعر شعراء . وثبت يرى من حسن لاسطراديين  
 كيف سعلت العصبة ريرة ودايمة شعر حسن وشعر المعان  
 بن شير لمهضة حصومها . ولكي . أفرح مد من مر حده . مصدرة  
 بن فرين ولأنصار وتأثير في شعر الشعراء . ولا يريد أن أدع  
 هده مصدرة دون أن ذكر ما كان بين عبد الرحمن بن حسان  
 وعبد الرحمن بن حكم حتى حبيبة مرو . بن هده الفصل العيف  
 الذي لم تبق لنا منه إلا آثار ضئيلة .

و رواية يخلطون في أصل هده لهاحاد بين هذين الرحلين . وهم  
 مصطرون إلى أن يخلطوا ، فقد دخلت المصيبة في الرواية أيضا . أما  
 الأنصار فكانوا يتخذون أس هذين الرحلين كاه صديقين ، ولكي  
 عبد الرحمن بن حسان لأنصار في كان يحب مرأة صاحبه الفرش ويختلف



اليها ، وبلغ ذلك صاحبه فواصل امرأة عند الرحمن بن حسان ، وأبانت  
 هذه روحها فاحتل حتى حمل امرأة صاحبه على أن تزوره في بيته ،  
 وأحفاها في إحدى المحصر ، وحالت امرأته حتى حملت لقريش على  
 أن يزورها ، فلما استتر به المقام عندها أقبل زوجها وأرادت أن تخفيه  
 فأدخلته في إحدى المحصر ، فإذا هو يرى امرأته ، ففسد الأمر بين  
 الصديقين . وأما قريش فكانت تروى لقصة نفسها ، ولكنها تعكسها  
 وتظهر صاحبها مطهر اللوى لصديقه بأنه كانت تأتيه رسائل امرأة  
 عند الرحمن بن حسان فلا يحبسها إلى ما كانت تريد رغبة لحرمة الصديق .

ولس من شك في أن هذه القصة خيال كانت تتمك به الأنصار  
 وقريش بعد أن هدأت نز الحوصوم لعملية بينهما ، وأن ما يرويه  
 صاحب الأعراس عن أصل هذه المهاجزة بعيد كل البعد عن النساء .

كان الصديقان يتصيدان ما كُلب لهما . فقال القرشي لصاحبه :  
 زحر كلالك إيا قَيْطِيَّةً نَقَعُ وَمِثْلُ كَلالِكُمْ لَمْ نَصْطِدْ

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأكل من فريسة صيده فالتزم بصنا عن المتصيد  
 إنا أناس زَيِّعُونَ وَمِمَّ كِكَلالِكُمْ في الولع والمسترد  
 حرنا كُ لاصَّتْ تحترشونه ولزيف يمحكم بكل مهتد  
 وعظم الشر بين الصديقين منذ ذلك اليوم .

ولعل عند الرحمن بن حسان قد أحسن تصوير بقية الأنصار

حين قال :

صدر الديبى عريزاً ولعزيرته      دلٌ وصدر فروع الناس أدناناً  
إلى الشمس حتى بين لكم      فيكم متى كنتم للناس أرباباً  
وهرقوا طلعم ثم انصرو وسلوا      عدوكم قديم العمل أدياناً

سرى لأمر تجاوز هذين لشاعرين . وسعد القرشي شعراء من  
مصر وزيعة . ثم تجاوز الأمر شعرو وشعراء وتلى في معاوية ،  
فأرسل في سعيه من الدعي ، وكان ولله على المدينة ، أمره أن يضرب  
كلاً من الشاعرين مائة سوط . وكان سعد عهده على الأضار  
في ثمة معاوية كما كان ربه عهده عليه أيام عمر ، وكانت بين  
سعيد وعبد الرحمن بن حسان مودة فكد أن يضربه ، وكذا أيضاً أن  
يضرب القرشي فعضل أمر معاوية . غير أنه لم يلبث أن ترك ولاية  
المدينة لمروان بن الحكم لدى شريح فتعصب لأخيه وضرب سعد الرحمن  
بن حسان مائة سوط . هذا ذكر عبد الرحمن بن حسان أن الأضار  
سير في الشام هو سعد بن سير فكيف به .

سب شعري عاشت أنت بالشأ      م حليلي أم راقد نعان  
يئة ما يكني فسد يرجع العا      تب يوما وثوقط الوسود  
سب عمر وعاصم ، ثوب      وحراء ، فلما على العهد كانوا  
سب ميعود أم قلة الكنة      سب أم أم عات عصال  
ثم حماء أم أعورنت العرا حيد      سب أم أمري به عليك حوان  
يوم أنشئت أن سفي رصة      سب وثنكم بذلك الركاب

ثم قالوا إن ابن عمك في طوى أمور أتى بها لخدمته  
فكسبت الأرحام ولو ذوالصحبة فيها أنت به الأرحام  
أما ربح فاعلمت قساة أو كعص العيدان لولا السنان

قالوا . فدخل البعان بن شير على معاوية ، فذكر له أن سعيداً  
عطل أمره ، وأن مروان أعده في الأنصاري وحده ، قال معاوية :  
فتريد ماذا ؟ قال البعان : أريد أن نعزم على مروان نُبصيص أمرك  
في الرحيل جميعاً . ويروى أن البعان قال في ذلك هذه الأبيات :

ياس أي سعيد ، مثلنا	حار عليه ملك أو أمير
أذكر لنا مقدم أومرنا	باختواد أنت اليسا فقير
وادكر سده ساعدى الذى	آثركم بالأمر فيها شير
فاحذر عليهم مثل بدير وقد	مرتمكم يوم بيسر عسير
بن ابن حسائب له نائر	فأعطه الحق تصح لصدور
ومثل أيام لنا شئت	ملكاً لكم أمرك فيها صير
أما ترى لأرد وأشياءها	تجول خُرّاً كاطحات ترير
يصول حولي منهم معشر	إن ضئت صالوا وهم لي بصير
يا بى لسا الصيم فلا تملئ	عمر منيع وعديد كثير
وعصر في عمر خُرّومه	عادية تنقل عنها الصحور

وانتهى أمر معاوية بن مروان ، فصر أحوه نحسين موطأ ،  
واستمى عبد الرحمن بن حسان في الهاني فعما . ولكنه أخذ يذيع

في المدينة أن مروء قد صر به حذ، لخر، ثة صوت وصر به نجاه  
 حة لعد حميين، فنشقت هذه المقامه على عبد الرحمن بن الحكم وأقبل  
 على حبه وطلب إليه أن يتم عليه المائه فعل، ووصل الضعاء بين ارحلين،  
 ولقد استطيع السكاب في تاريخ الساسي أن يصنع كتابا حاصا  
 حجم في هذه العصبة من قریش والأصبار، وما كان لها من التأثير  
 في حياة مسلمين أيام بني أمية، لا نقول في المدة ومكة ودمشق، بل  
 نصول في مصر وفريق والأندلس، ويستطيع السكاب في تاريخ  
 لأدب أن يصنع سفر مستقلا في كتاب لهذه العصبة من قریش  
 والأصبار من التأثير في شعر هريفيين لدى فالوة في الإسلام، وفي الشعر  
 الذي اتخذه نمرود على شعرتهما في احاطليه، حد دون أن يتجاوز  
 مؤرخ سياسي أو لأدب الحصوصمة من قریش والأصبار، فكيف  
 د نحدودها من الحصوصمة بين القائل الأخرى، ذلك أن العصبة لم  
 تكن مقصورة على أهل مكة والمدينة، ولكنها تجاوزتهم إلى العرب  
 كافة، فعضبت اعداسة على يمانية، وعضبت مضر على ثقية عدنان،  
 وعضبت ربيعة على مصر، وانقسمت مصر نفسها فكانت فيها العصبة  
 القيسية ولثيمية والفرشبة، وانقسمت ربيعة فكانت فيها عصبة  
 تغلب وعصبة نكر، وقبل مثل ذلك في اليمن، فقد كانت للأرد  
 عصبتها، ولجميع عصبتها، ولقصاعة عصبتها.  
 وكانت كل هذه العصبيات تنتشر وتفرع وتمتد أطرافها  
 وتشكل أشكال الظروف السياسية والإقليمية التي يحيط بها، فكل شكل

في الشام، وآحر في العراق، وثالث في حراسان، ودرج في الأندلس .  
وأنت تعلم حق العلم أن هذه العصية هي التي أزال سلطان بني أمية،  
لأنهم عدلوا عن سياسة التي لني كانت يريد نحو العصيات، وأرادوا  
أن يعسروا بهريق من العرب على فريق . قووا العصية ثم عسروا عن  
صبتها، فأدلت مهم، بل أدانت من العرب للفرس .

وإذا كان حيد، تأثير العصية في الحية السياسية وقد رأيت طرفا  
يسيرا من تأثيرها في الشعر والشعر، فأت تستطع أن تتصور هذه  
القبائل العربية في هذا الجهاد السياسي العيف، تحرض كل واحدة من  
على أن يكون قديمها في اجاهلية حير قديم، وعن أن يكون محمدا  
في اجاهلية ربيعا مؤثلا بعد المهدي . وقد أردت الظروف أن يصعب  
الشعر الجاهلي، لأن العرب لم تكن يكتب شعرها بعد، وإنما كانت  
ترويه حفظا . فلما كان ما كان في الإسلام من حروب لزمه ثم الفتوح  
ثم الفتن، قتل من الرواة والحفاظ خلق كثير . ثم أطمأت العرب  
في الأمصار أيام بني أمية وراحعت شعرها، فإذا أكثره قد صاع .  
وإذا أقله قد بق . وهي بعد في حاجة إلى الشعر تفدده وقودا لهذه  
العصية المضطربة . فاستكثر من شعر وقالت منه انقصائد الضوال  
وغير الطوال ونخلتها شعراءها الهدماء .

وليس هذا شيئا يترصه نحن أو يستمطه استمطا، وإنما هو شيء  
كان يعتقد القدماء أنفسهم . وقد حدثنا به محمد بن سلام في كتابة

« طُفُفَتِ لشعراء » . وهو يحدثنا ما أكثر من حديثنا بأن مريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية . فاصطبرها ذلك إلى أن تكون أكثر العرب اتقالا للشعر في الإسلام . وإن سلام يحدثنا عن بوس ابن حبيب أنه قال عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول . ما بقي لكم من شعر جاهلية إلا قلة ولو شاءكم وأمر شاءكم عم وشعر كثير .

ولاس سلام مذهب من الاستدلال لإثبات أن أكثر الشعر قد صاغ ، لا بأس بأن علم به البسمة قصيرة . فهو يرى أن طريقة ابن العبد وعبيد بن الأبرص من شهر شعراء الجاهليين وأشتهم تقدماً . وهو يرى أن الرواة الصحيحين لم يحفظوا هذين الشاعرين إلا قصائد بقدر عشر . فهو يقول إن م يكن هذين الشعراء قد دلا إلا ما يحفظ لهما فهما لا يستحقان هذه الشهرة وهذا التقدم ، وادن فقد دلا شعرا كثيراً ولكنه صاغ ، ولم يبق منه إلا هذا القليل . وشق على الرواة أو على غير الرواة ألا يروى هذين الشاعرين إلا قصائد بقدر عشر فأصافوا الهمما ، لم يولوا ، وحمل عليها كما يقول ابن سلام من كثير .

ولكن ابن سلام لا يقف عند هذا الحد ، بل هو يقد ما كان يرويه ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير من « شعر يصعبونه إلى عاد وثمود وغيرهم » . ويؤكد أن هذا شعر محمول مختلق . وأي دليل على ذلك أوضح من هذه المصيرص القرآنية التي تثبت أن الله قد أباد عاداً وثمود ولم يبق منهم باقية ! .

وسعرص بعد قليل هذا الشعر من شعراء وغير عاد  
وثمود . ولكننا انما ذكره الآن بين كيف كان القدماء يفتخرون  
بكمالهم ويمجدون كما عسى أن هذا الشعر الذي يصفون الجاهليين  
أكثره معجول الأساب منها اسبي ومنها غير السياسي . كان القدماء  
يسبون عدو . ولكن مناهجهم في القدي كانت أضعف من مناهجنا  
فكانوا يبدون ثم يقصرون عن العادة . ومن هذا رعم من سلام أنه  
لا يستطيع أن يروي لنا شيئا من أقواله الشعر العري . فروي أبا  
نسيب الخبيطة للأرض ، وأخرى نسب لرهير من حناب ، ونحو هذا .  
وسترى أنما نحن لا نستطيع أن نقل هذا الشعر ، كما أن ابن سلام  
لم يستطع أن يقبل شعر عاد وثمود .

وهما يكن من شيء من هذا فحصل انصويل يقتضى من في نسخة  
يعتقد أنها لا تصل الشك ، وفي أن القصيدة وما يتصل بها من المدح  
السياسية قد كانت من أهم الأسباب التي جعلت العرب على التحمل  
الشعر واصافته إلى الجاهليين . وقد رأيت أن القدماء قد سموها إلى  
هذه النسخة . وأريد أن ترى أنهم قد شقوا بها شفاء كثيرا . فأن سلام  
يحدثنا بأن أهل العلم قادرين على أن يميزوا الشعر الذي يتخلله الرواء  
في سهولة . ولكنهم يحدون مشقة وعسرا في تمييز الشعر الذي يتخلله  
العرب أنفسهم . ونحن لا ننف بعد سنخلص هذه النسخة ونسجلها ،  
وإن كنا سنخلص منها فائدة غامضة وهي أن مؤرخ الآداب مضطر

حين نقرأ الشعر الذي يسمى حديثاً أن يثبت في صحته كلما رأى شيئاً  
من شأنه محوياً أو مضمناً أو يبدد هريق من العرب على فارس. ونوع  
أن يثبت ديد يثبت كما كانت العمية أو العضة في ن يدع  
الشعرية أو العمية قد ائتت كما نقول - دوراً في حده  
السياسة العامة .

---



## الدين والخيال الشعر

وتم نكر العواطف والادافع الدينية من العواطف والادافع الدينية أثر في تكلف الشعر والخيال واضافة الى الخاطىس ، لا يقول في العصور المتأخرة وحده ، بل في عصر لايمى أيضا ، وربما كثر في عصر الايمان المتأثر «الدين الى يوم حلفاء ترشدين أيضا . ولو ان لدينا من سعة الوقت وفرح الدال . حذو به هذا الموضوع فهو ، وأهيب القارئ سوح من البحث لا نعلم من وثقة علمية أدبية قيمة ، وهو أن يصنع تاريخا لهذا الايمان هذا الدين .

فحين يرى أنه تشكل شكلا محببة دعت اليه الظروف المحيطة التي أحاطت بالحياة ، يديه للعرب حوصه وفهمين عامة ، فكان هذا الايمان في بعض أطواره يقصد به الى شأب صحة اسوة وصدق النبي ، وكان هذا النوع موجه الى عامة الناس . وأنت تستطيع أن تتأمل في هذا كل ما يروى من هذا شعر يدى قبل في الحداثة بهذا لعنه السي وكل ما يتصل به من هذه الأحدث والأساطير التي تروى لتقع اليه انه كان علماء العرب وكهنة وأخبار اليهود ورجال صغار كانوا يسطرون بعثه في عرق يخرج من قريش أو من مكة . وفي سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ والسيرة صروب كثيرة

من هذا النوع . وأنت تستطيع أن تحمل على هذا لواء آخر من الشعر  
المتحمل لم تصف إلى الجاهليين من عرب الإنس وإنما أصيب إلى  
الجاهليين من عرب الخ . فقد يظهر أن الأمة العربية لم تكن أمة  
من اناس الدين ينسبون إلى آدم ليس غير ، وإنما كان براء هذه  
الأمة الإيسية أمة أخرى من الخ كانت تحب حياة الأمة الإيسية  
وتحصى لها تحصى له من المؤثرات ، وتحسن مثله تحسن ، وتوقع مثل  
ما لتوقع . وكانت تقول لشعر ، وكان شعرها أحود من شعر الإنس ،  
بل كان شعرها هم الذي يلهمون شعراء الإنس . فأنت تعرف قصة  
عبيد وهبيد . وأنت تعرف أن الأعراب والرواة قد طهروا بعد الإسلام  
بتسمية الشياطين الذين كانوا يلهمون أشعراء قبل النبوة وبعده .  
وفي القرآن سورة تسمى "سورة الخ" أسأت أن الخ استمعوا لشي  
وهو يتلو القرآن فلا تفلح قلوبهم وأمسوا بالله ورسوله ، وعدوا فأندروا  
قومهم ودعوهم إلى الدين الجديد ، وهذه السورة تنبئ أيضا أن الخ  
كانوا يصعدون في السماء يسترقون السمع ، ثم يهبطون وقد ألموا بالمأ  
يختلف قوة وضعف بأسرر الخ ، فلما قرب زمن النبوة حيل سهم  
وبين استرق السمع فرجوا هذه الشبهة وانقطعت أحوار السماء عن  
أهل الأرض حينئذ . فلم يكف الفصاض والرواة يقرءون هذه السورة  
وما يشبهها من الآيات التي فيها حديث عن الخ حتى ذهبوا في نوابها  
كل مذهب واستعملوه استعلا لا لاحت له ، وأنطقوا الخ بصروب  
من الشعر ومن السجع ، ووضعوا على أبي نضرة أحديث

لم يكن ندمهم لما ولى آيات القرآن على الجحود الذي يريدونه  
ويقصدون إليه .

وأعجب من هذا أن السياسة نفسها قد اتحدت الحق أدب من  
أدواتها وأطقمها بالشعر في عصر الإسلامى نفسه . فقد أشرنا في الفصل  
السابق إلى ما كان من قبل سعد بن عباد . ذلك الأنصارى الذى أتى  
أن يدعى بالخلافه لمريش . وقلنا : هم يتحدثون أن الحق نفسه . وهم  
لم يكتفوا بهذا الحديث . وأما روى شعر قاله الحق نفسه فيه فقال  
سعد بن عباد هذا :

قد قتل سيد الحر رح سعد بن عده

ورمى به سهم من قلم يحصى فؤده

وكذلك قالت الحق شعر رثت فيه عمر بن حفص

أعد قتيلا بالمدينة أظلمت له لأرض نهرا بعصاة بأسوق

حرى الله حيرا من إمام وباركت يد الله في ذلك لأديم المرق

من يسع أو يركب حصى نعمة يدرك ما حدثت لأمس ينشق

غصبت أمورا ثم غادرت بعدها نوى في أكمها لم تنفق

وما كنت أحشى أن يكون وده كفى متنى أرق العين معرق

والعجب أن أصحاب الروية معقول أن حيد الكلام من شعر  
الحق . وهم يتحدثون في شيء من الإنكار والسحرية بأن الله قد  
أصابوا هذا الشعر إلى الشماخ بن صرار .

ولمعد إلى ما نحن فيه فقد طهرناك على نحو من احتمال شعر على  
الحسن والإنس باسم الدين . والعرض من هذا الاثنان — فيما رجع —  
إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ،  
ولا يكرهون أن يقع لهم إن من دلائل صدق الذي في رسالته أنه كان  
منتظرا قبل أن يحيى ، يدهر طويلا ، تحدثت بهذا لانتظار شياطين الحن  
وكهان الإنس وشجار اليهود ورهبان نصارى .

وكما أن التخصيص والمحسوس قد اعتمدوا على الآيات التي ذكرت  
فيها الحن ليحترعوا ، واحترعوا من شعر الحن وشجارهم المنصاة بالدين ،  
فهم قد اعتمدوا على القريب أيضا فيما رويوا وانخلوا من الاحبار  
والأشعار ولأحدث التي تصاف إلى الاحبار وارهبا . فالقرآن يثبتنا  
أن اليهود والنصارى يحدون أنبياء مكشوفين في انوارهم والإنجيل .  
وإذن فيجب أن نخرج التخصيص والأشعار ، ونصل بها من شعر  
لثبت أن المحسوس من الاحبار وارهبا كانوا يتوقعون بعثة النبي  
ويذهبون الناس إلى الإيمان به حتى قبل أن يُظَلَّ الناس زمانه .

ونوع آخر من تأثير الدين في شكل شعره وصاحبه إلى الخليلين ،  
وهو ما يتصل بتصميم شأن النبي من ناحية أسرته ونفسه في قرش .  
فلأمر ما اقعح . من أن سي يجب أن يكون صفوة بني هاشم ، وأن  
يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة  
بني قصي ، وأن يكون قصي صفوة قريش ، وقريش صفوة مصر ،  
ومصر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، وعرب صفوة الإنسية

كلها . وأحد القصاص يتحدثون في تثبيت هذا النوع من التصبة  
والنقية وما يتصل به بأسرة التي حاصه ، وبصهيون الى عبدالله  
وعبد المصط وهاشم وعدد مناه وقصتي من الأحبار ما يرفع شأنهم  
ويعلل مكانهم وينتج تفهيمهم على قومهم حاصه وعلى العرب عامة .  
وأنت تعلم أن طبعه القصاص عدد العرب تستمع الشعر ، ولا سيما إذا  
كانت لغامة حتى الى تردد هذا القصاص .

وهنا نتطهر العواطف لذيبة والعواطف السياسية على انحال  
النمر . فقد أردت الظروف أن يكون الخلافة والملث في قريش رهص  
اسي ، وأن تحلف قريش حول هذا الملث ، فيستزحيا في بي أمية  
ويتعلل مهم ان بي هاشم رهط التي لأديبي . وشنت السوس بين  
أولئك هؤلاء ، ويتخذ أولئك هؤلاء القصاص وسيلة من وسائل  
الجهاد السياسي . فأما في أمية بي أمية ويحتد القصاص في شنت  
ما كان لأمية من محدي في حاصه . وأما في أيام لعباسيين ويحتد  
القصاص في إثبات ما كان بي هاشم من محدي في حاصه . وشنت  
الخصومة بين قصاص هذين الحريين السياسيين ، وتكثر الروايات  
والأحبار والأشعار .

ثم لا يقتصر الأمر على هذين الصووين من بي عبد مناف ،  
فالأرسراطية القرشيه كلها طموحة الى المجد حرصة على أن يكون لها  
حظ منه في قديمها كما أن لها حصه منه في حديثها . وبدن فالظنون  
القرشيه على اختلافها تتحلل الأحبار والأشعار وتغري القصاص وغير

المصاص ، تخاف . ولا أصل عند كله إلا أن قريشاً رهط النبي  
من ناحية ، وأن الملك قد استقر فيها من ناحية أخرى . فانظر إلى  
تعاون العواطف الدينية وسياسية على انفعال الشعر أمام بني أمية  
وبني العباس .

ولست في حاجة إلى أن أصرب بك الأمثال . ذات تسضع أن  
تطرق في سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السير والتاريخ لتري من هذا  
كله الشيء الكثير . وإنما أصرب لك مثلاً واحداً يوضح ما ذهبت إليه  
من أن بطون قريش كانت تبحث على انفعال شعر معاوية للأسرة  
الملكية ثموية كانت أو هاشمية . وهذا دفعه التي مأروها بمس  
رهط بني مخروم من قريش ، وهي تعظيماً مثلاً صادقاً قويا لحرص  
قريش على انفعال الشعر لا تتحرج في ذلك ولا ترعى فيه صدق ولا ديب .

تحدث صاحب الأعشى بمسندته عن عبد العزيز بن أبي هاشم  
قال . قال أبو بكر بن عبد الرحمن ابن حارث بن هشام وحشته  
أطلب منه معرماً بإحاطة هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات  
للأرملة وقل سمعت حسناً يشهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقلت أعوذ بالله أب أفري على الله ورسوله ، وبكى إن شئت أن  
أقول سمعت عائشة تشهدنا فعلت . فقال . لا . إلا أن تقول سمعت  
حسناً يشهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم حالي . فأبى عليّ وأبيت عليه . فأنما لذلك لاستكلام عدة ليال .  
فأرسل إلى فقال قل أبياتاً تمدح بها هشاماً — يعني ابن المعيرة

وحي أمية، فقلت ستمهم لي، فسأهم، وقال اجعلها في عكاظ وأجعلها  
لأبيك، فقلت

ألا لله فقومٌ و لدت أحبُّ حي منهم  
هشمٌ وأبو عبد مريب مدرة الغصم  
وذو الرمحين أشباك على لموة والحرم  
مهدات يدودان ودا من كذب ربي  
سودٌ زدهي لأقر ن ماعون للهضم  
وهم يوم عكاظ، سمعو الناس من هرم  
وهم من ولدوا شؤ سراً حسب السحرم  
فإن أحلف وبيب الله لا أحلف على ثم  
لب من أخوه تبي قصور الشام ولزدم  
باركي من حي رنطة أو أوران في الجلم

قال ثم حثت فقلت هذه قاف أبي، فقال لا. ولكن قل فافها  
أبي الزعري، قال فهي في الآب مسبوقة في كتب الناس في  
أبي الزعري.

فانظر أني عذر الرحمن بن الحارث بن هشام كيف أراد صاحبه  
على أن يكذب ويتعدى الشعر على حبان، ثم لا يكتمه هذا لا اتهم  
حتى يدع صاحبه أنه سمع حبان يشهد هذا الشعر بين يدي التي، كل.  
ذلك أربعة آلاف درهم. ولكن صاحبنا كره أن يكذب على أبي هذا

للمقدار، وامتناع ثبوت الكذب على عائته . وعدد رحمن لا يرضيه  
 لا الكذب على النبي . واحتصى . وكلامها شديد الحاجة الى صاحبه ،  
 هـ يريد شعرا لشاعر معروف ، ولاخر يريد امثال ، وسفطان آخر  
 الامر على أن يجعل الشعر عند الله من الزهرى شاعر وریش . ومثل  
 هذا كثير .

نحو آخر من تأثير تدين في جعل الشعر وهو هذا الذي يلحا اليه  
 تخصيص تفسيره ، بتدوينه مكتوب . في القرآن من أحسن لأنهم القديمة  
 سنده كعاد وثمود ومن ليهم ، فالزود يصنعون ايهام شعر كثير . وقد  
 كذب من سلام سنده وتحمسه حين حدث في طعنات الشعر ، في نبات  
 أن هذا الشعر وما يشبهه قد يضاف في شئ وخير موضوع ، تجعل  
 وسعه من اتفاق ومن ايه من أصحاب القصص . وابن السكيت ومن  
 انه من أصحاب القصص لا يكفون شعر بتدوينه في عاد وثمود  
 وسع وخير وما هم يصنعون شعر ان آدم نفسه . فهم يرجعون أنه  
 في هائل حين فله نحوه فابيل . ومن أن من لإصابة والإملال  
 أن تقع عند هذا النحو من السخف .

ونحو آخر من تأثير تدين في اتقان الشعر ، وذلك حين ظهرت لحياه  
 اعلمية عند العرب بعد أن اصبحت الأساليب بينهم وبين الأمم المغلوبة .  
 فأرادوا هم أو المولى أو أولئك وهؤلاء أن يدرسوا القرآن درساً لغوياً  
 ويثبتوا حكمه ألفاظه ومعانيه . ولا يريدوا ما شعرهوا بالخاصة الى إثبات  
 أن القرآن كتاب عربي مطابق في ألفاظه ولغته العرب ، فحرصوا على أن



يستشهد على كل كلمة من كلمات امرأت شيء من شعر العرب ثبت  
أن هذه الحكمة امرأته عرسه لا سبيل في ثبت في عربيتها وأنت  
تواهي في عرب مشقة على من الحسير كما قدمت في الكتاب الأول  
أن تضمن في كل هذا شعر لدى يستشهد به برونه والمصريون على  
اللفظ هذا مع به . وقد عرف رأيه في ذلك وفي قصة عبد الله  
من حسان وواقع من الأرق . فلا حرج في أن يعيد يقول فيه . وأنت  
بعد شد ، وحد وجوه استعده له ذلك هذا نفس عرق لا تغفل  
لغته شك ولا ر . وهو بذلك أوفق مصدر له امرأته فهو القرآن .  
وتصووص من ونقطه تحت است يستشهد على صحة ما يسمونه  
الشعر الخدي يدل أن يستشهد به الشعر على تصووص العرب .

ولست فهم كيف يمكن أن يصر الشك في علم حدث في عربية  
القرآن وسفينة لفظه وأساليبه وقطعه على ما عرف لعرب أمم التي  
من لفظ وطعم وأساليب . وإنما حديث مسألة أخرى وهي أن العلماء  
وأصحاب الأصول من ذوي سجع خاص لم يتعمقوا في كثير من الأحياء  
على فهم العرب وتأويل نصوصه ، فكأن بينهم حصومات في التأويل  
والنفسير . ومن هذه الحصومات شأت حصومات أخرى بين الفقهاء  
وأصحاب التشريع .

وهنا نوع جديد من تأثير الدين في التحول الشعر . وهذه الحصومات  
بين علماء كان ، تأثير غير قليل في مكانة العلم وشهرته ورأي أساس

فيه وثقة الأمر ، واخفاء علمه . ومن كان هؤلاء العلماء حرصا  
على أن يظهر وادبهم مظهر المصريين في حصة تهم لهم فتمس إلى  
حق والصواب فيما يذهبون إليه من رأى . وأن شئ يسبح لهم هذا  
مثل الاستشهاد ، بما قاله العرب قبل رول الهران ، وقد كثرت اسماهم  
لقد الاستشهاد ، فاستشهدوا بشعر الجاهليين على كل شئ . وأصبحت  
قرء الكتب الأدبية واللغوية وكتب التفسير والمذلات ترك  
في بعض أثر قوي ، وصورة عربية لهذا الشعر العربي الجاهلي ، حتى  
ليجبل اليك أن أحد هؤلاء العلماء على اختلاف ما كان يطرأه من  
فروع العلم لم يكن عنه إلا أن يمد يده ، احتاج ويظهر بما شاء الله  
من كلام العرب قبل الإسلام . كآب كلام العرب قبل الإسلام  
قد وعى كل شئ وأحصى كل شئ . هـ . وهم مجمعون على أن هؤلاء  
جاهليين الذين ولوا في كل شئ ، كانوا حيلة علاطا ، فطاطا . أفترى  
إني هؤلاء الجهول العلاط يستشهد بجهلهم وعظمتهم على ما انتهت إليه  
الخصامة العباسية من علم ودقة فيد ، والمعتزلة يشنون مدحهم بشعر  
العرب الجاهليين . وغير المعتزلة من أصحاب المذلات يقصون آراء  
المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين . وهـ أرى إلا أنك صاحك مثل  
أه . هذا الشعر الذي رواه بعض المعتزلة لينت أن كرسى الله الذي  
وسع السموات والأرض هو علمه ، وهذا الشطر هو قول الشاعر  
( المجبول طه ) " ولا تكسني علم الله محارو " .

وكذب أصحاب العلم على الجاهلين كثير لا سبيل الى حصانه  
و استقصائه . فهو ليس مقصور على رجال الدين وأصحاب التأويل  
و المقالات ورجال اللغة وأهل الأدب ، و إنما هو يهاورهم الى غيرهم  
من الذين قالوا في العلم مهم يكن الموضوع الذي تناولوه .

لأمر ما كان الذبح في العصر عباسي عند فريق من لدس أن يرد  
كل شيء الى العرب حتى الأشياء التي استحدثت أو جاء بها المعلومون  
من الفرس والروم وغيرهم . و إذا كان الأمر كذلك فليس لا تحل الشعر  
على الجاهلين حذ . وأنت اذا نظرت في كتاب الحيوان لملاحظ رأيت  
من هذا الاحتمال ما صنعت و درست .

ولكني لا أريد أن أعمد عما فيه من تأثير العواطف والمبغ  
الدينية في احتمال شعروا بإصافه الى الجاهلين . وقد رأينا الى الآن  
قصور من هذا التأثير ، ولكن لم يصل بعد الى أعظم هذه القصور كلها  
خطرا وأبعده أثرا وشده عناء عقول العلماء والمحدثين ، وهو هذا  
أنواع الذي ظهر عندنا استيف الخدال في ادين بين المسلمين  
وأصحاب ادين الأخرى ، ولا سيما لليهود والمصري . هذا الخدال الذي  
قوى بين النبي وحصومه ، ثم هذا بعد أن تم انتصار النبي على اليهود  
والوثنيين في بلاد العرب ، و قطع أو كان يقطع أيام الخلفاء الراشدين ؛  
لأن الكلمة في أيام هؤلاء الخلفاء لم تكن للجنة ولا للسان ، وإنما كانت  
لهذا السب الذي أزال سلطان الفرس وفتطع من دولة الروم الشام

وفلسطين ومصر وقسما من أفريقيا الشمالية . فلما آتته هذه الفتوح واستقر العرب في الأمصار وانصلب الأسباب بينهم وبين المعلوبين من النصارى وغير النصارى استوفى هذا الخدال وأخذ صورة أقرب إلى النصال منها إلى أي شيء آخر . وذهب المخدول في هذا النوع من الخصومة مذهب لا يخفى من عرامة يحب أن يشير إلى بعضها في شيء من الإيجاز .

أما المسلمون فقد أوردوا أن يشتموا أن للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي . وأن خلاصه الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين على الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل . فليس عربيا أن يعد قبل الإسلام قوة ، يديسون بالاسلام أحدوه من هذه الكتب السماوية التي أوحيت قبل القرآن . والقرآن يتحدثنا عن هذه الكتب ، فهو يذكر التوراة والإنجيل ويتجادل فيهما اليهود والنصارى . وهو يذكر غير التوراة والإنجيل شيئا آخر هو صحف إبراهيم . ويذكر غير دين اليهود والنصارى دينا آخر هو ملّة إبراهيم ، هو هذه الحقيقة التي لم نستطع أن الآن أن ندين معناها الصحيح . وإذ كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان القرآن قد وقف من أولئك وهؤلاء موقف من ينكر عليهم صحة ما يزعمون ، فطعن في صحة ما بين أيديهم من التوراة والإنجيل وآتهمهم بالتحريف والتعريف ، ولم يكن أحد قد أحسب ملّة إبراهيم ولا زعم نفسه الانفراد بتأويلها ، فقد أحد المسلمون يردون الإسلام

في خلاصه الى دين ابراهيم هذا الذي هو أقدم وأبني من دين اليهود والنصارى .

وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يعتمد دين ابراهيم . ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين ابراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم أعرضت عنه لما أصابها من المصلوب وانصرفت الى عبادة الأوثان . ولم يحتفظ بدين ابراهيم إلا أفراد قليلون يظهر من حين الى حين . وهؤلاء الأفراد يتحدثون فحده من أحاديثهم ما يشبه الإسلام . وتأويل ذلك يسير، فهم أشاع ابراهيم، ودين ابراهيم هو الإسلام . وتفسير هـد من الوجهة العلمية يسير أيضا . فاحديث هؤلاء الناس قد وصفت هم وحملت عليهم حملا بعد الإسلام، لا شيء إلا ثبت أن للإسلام في بلاد العرب قدمه وسبقه . وعلى هـد النحو نستطيع أن نحمل كل ما نجد من هذه الأخبار والأشعر والأحاديث التي تصف الى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن من الحديث شبه قوى أو ضعيف .

وهنا نصل الى مسألة أخرى لها الباحثون عن تاريخ القرآن من الفرج والمستشرقين خاصة، وهي تأثير المصادر العربية الخلاصه في القرآن . فقد كان هؤلاء الباحثون يرون أن القرآن تأثر باليهودية والنصرانية ومذاهب أخرى بين يدي كتاب شائعة في البلاد العربية وما حاورها . ولكنهم رأوا أن يصبغوا الى هذه المصادر مصدرا عربيا خالصا ، واتموا هذا المصدر من شعر العرب الجاهليين، ولا سيما الذين كانوا

يتمعون منهم . ورعى الأستاذ (كلين هوار) في فصل طويل نشره له المجلة الأسبوعية سنة ١٨٠٤ — أنه قد طهر من ذلك شيء قيم واستكشف مصدرا جديدا من مصادر القرآن ، هذا الشيء القيم وهذا المصدر الجديد هو شعر أُمِّة آس أي الصَّلت . وقد أطل الأستاذ (هوار) في هذا البحث وقارن بين هذا الشعر الذي يسب إلى أمية ابن أبي لصلت وبين آيت من القرآن . ونهى من همدد المقارنة إلى نتيجتين :

(الأولى) أب هذا الشعر الذي يسب لأُمِّة آس أي الصلت صحيح . لأن هناك قرون بين ما جاء فيه وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص ، ولو كان متحلا لكات المطابقة تامة بانه وبين القرآن . وإذا كان هذا الشعر صحيحا ، فيجب في رأى الأستاذ (هوار) أن يكون الذي قد استعان به قليلا أو كثيرا في نظم القرآن .

(الثانية) أن صحة هذا الشعر واسماعه التي به في نظم القرآن قد حملنا المسلمين على محاربة شعر أُمِّة آس أي الصلت ومحوه ليستأثر القرآن بالحدة ويصح أن الذي قد اهرق تلقى الوحى من لسانه . وعلى هذا النحو استناع الأستاذ (هوار) أو حبل إليه أنه استطاع أن يثبت أن هذا شعرا جاهليا صحيحا ، وأن هذا الشعر الجاهلي قد كان له أثر في القرآن . ومع أنى من أشد الناس انحاما للأستاذ (هوار) ومطابقة من أصحابه المستشرقين وبما يتهوون إليه في كثير من الأحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الأدب العربى والمناهج التي يتخذونها للبحث ، وإلى

لا أستطيع أن أقرا مثل هذا الفصل الذى أشرت إليه آفا دون أن  
 تحب كيف يوزط العلماء أحياء في مواقف لاصلة بينها وبين العلم .  
 وليس يعنى هذا أن تكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا يكون .  
 بل لا أؤزج القرآن ، وأما لا أدود عنه ولا أنعزض للوحى ومربط به .  
 بل لاصلة بين العرب وما كان يحدث به اليهود والنصارى . كل ذلك  
 لا يعنى إلا . وإنما الذى يعنى هو شعر أمية بن أبى الصلت وأمثله  
 من الشعراء .

والعرب من أسر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله أنهم  
 تكون في صحة نسيرة نفسها و تخاور بعضهم الشك في المحمود ، فلا  
 و في السيرة مصدر تأريخ صحيح ، و ما هي عندهم كما يعنى  
 أن تكون عند علماء جميع طائفة من الأبحار والأحاديث يحتاج  
 إلى التحقيق والبحث العلمى التدقيق ليميز صحيحها من مشحها .  
 ثم يقول هذا الموقف العلمى من السيرة ويعلون في هذا الموقف .  
 فكيف يقولون من أمية بن أبى الصلت وشعره موقف المسيقين  
 مطمئن . مع أن أخبار أمية يست دوى إلى المصدق ولا أضع  
 في النصحة من أخبار السيرة ، فما سرت هذا الاطمئنان العريب إلى نحو  
 من الأخبار دون اسحو الآخر . أيمكن أن يكون المستشرقون أنفسهم  
 . يبرهوا من هذا التعصب الذى يرمون به الباحثين من أصحاب  
 بيانات " أما أنا فلست مستشرفا ولست رجلا من رجال الدين .  
 ، عما أريد أن أقف من شعر أمية بن أبى الصلت نفس الموقف

العلمي الذي وفقته من شعرا جاهليين جميعا . وحسب أن شعر أمية  
ابن أبي الصلت لم يصل اليه إلا من طريق الرواية والحفظ لأشدك  
في صحته كما شككت في صحة شعر مرئ بن هبيل والأعشى ورهير . وإن  
لا يكن لهم من أبي موقف أمية بن أبي الصلت .

ثم إن هذا الموقف يصح به يحمل على أن أرواح لأرتاب كية  
في شعر أمية بن أبي الصلت . فقد وقف أمية من أبي موقف  
الخصومة : لها أصحابه وأبنة محابسه ورث أهل بدر من المشركين .  
وكان هذا وحده يكفي ليس من روية شعرة ، وليصعب هذا الشعر  
كما صعدت الكثرة المطلقة من الشعر الوثني مدى هي فيه أبي وأصحابه  
حين كانت الخصومة شديدة بينهم وبين محابستهم من العرب الوثنيين  
وليهود . وليس يمكن أن يكون من الحق في شيء أن أبي من روية  
رواية شعر أمية لبشر بالعلم والوحى وأحار العيب . وما كان شعر  
أمية بن أبي الصلت إلا شعرا كغيره من شعر لا يستطيع أن يهين  
للقرآن كما لم يستطيع غيره من الشعر أن يهين للقرآن . وما كان علم  
أمية بن أبي الصلت بأمور الدين إلا كعلم أحبار اليهود ورجال  
النصارى . وقد ثبت النبي لأولئك هؤلاء واستدع أن يعلمهم على  
عقول العرب بالحق مرة وبالسيب مرة أخرى . فأمر النبي مع  
أمية بن أبي الصلت كأمره مع هؤلاء الشعراء الكثر من الذين هم  
وناهضوه وآلوا عليه .



ومن ههنا تصيب أب تهمهم ما يروى من أن النبي أشد شيبا من  
شعر أمة فيه دين وتخشع فقال "آمن لسانه وكهر قلبه". آمن لسانه  
لأنه كان يدعو إلى مثل ما كان يدعو إليه النبي، وكهر قلبه لأنه كان  
يصد عن مشركين عن صاحب هذا الدين الذي كان يدعو إليه، وأمره  
كأمر هؤلاء اليهود الذين أيدوا بني ووادعوه حتى إذا حافوه على سلطانهم  
النبي سبي وألقت دنى والدي طهروا عبه المشركين من فرث .

ليس هذا شعر أمة من أبي القاسم بدعا في شعر المتحفين من  
العرب أو المنتصرين والمتهودين منهم . وليس يمكن أن يكون المسلمون  
قد تعمدوا محوه . إذا ما كان من ههنا بلني وإن صحبه وبعب على الإسلام ، فقد  
سلط المسلمون فيه مسالكهم في عبه من الشعر الذي أهمل حتى صاح .

ولكن في شعر أمة من لصلت أحبارا وردت في القرآن كأحبار  
نمود وصالح والدقه والصبيحة . ويرى الأستاذ (هور) أن ورود هذه  
الأحبار في شعر أمة محاولة بعض المجاهدين لما جاء في القرآن دليل  
على صحة هذا الشعر من جهة . وعلى أن النبي قد استقى منه أخذوه  
من جهة أخرى .

ولست أدري قيمة هذا النحو من البحث . فمن الذي رعم أن  
ما جاء في القرآن من الأحبار كان كله مجهولا قبل أن يجيء به انتراق  
ومن الذي يستطيع أن سكر أن كثيرا من القصص لقرآني كان معروفا  
عنده عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم .

وكان من المسمون أن يعرفه نسي ، كما كان من يسير أن يعرفه غير اسير  
من المتصلين بأهل الكتاب . ثم كان التي وأمية متعاصرين . فلم يكون  
التي هو لدى أحد عن أمية ولا يكون أمة هو الذي أحد عن التي  
ثم من الذي يستطيع أن يقول إن من يتحمل اسمها كما القرآن  
فلم أن يلائم بين شعره وبين مصوص القرآن " أليس المعقول أن  
يخالف بينهما ما استطاع ليحتمل الاختلاف ونوهم أن شعره صحيح  
لا تكلف فيه ولا تعمل ؟ بل !

وعلى يعتقد أن هذا الشعر الذي يضاف إلى أمه من أي الصاب  
والى غيره من المتحقيق الذين عاصروا التي أو جاءوا قبله إنما أتخل  
تخلوا . اتخذه المسلمون يثبوا . كما قدما أن للإسلام قدومه  
وبه في البلاد العربية . ومن هذا لا نستطيع أن نعلم ما يضاف إلى  
هؤلاء شعراء والمتحقيقين إلا مع شيء من الاحتياط والاحتياط  
هذا شأن المسلمين . فأما غير المسلمين من أصحاب الأدب ، فإن  
لأخرى فقد بطروا فإذا لم في حبه الأمة العربية قبل الإسلام وديم .  
وفي الحق أن اليهود قد استعمروا حراً غير قليل من بلاد الحجاز في المدينة  
وحواها وعلى طريق الشام . وفي الحق أيضاً أن اليهودية قد جاء رب  
الحجاز إلى اليمن . ويظهر أنها استقرت حيناً عند سراه يمن وأشرافها .  
وأما أثرت بوجه ما في الخصومة التي كانت بين أهل اليمن وبين  
الخشنة ، وهم نصارى . ثم في الحق أن اليهودية قد أسست حركة  
اصصهد للنصارى في حجاز ذكرها القرآن في سورة لروح .

كل هذه حق لا شك فيه . وكل هذا طاهر في أحبار العرب  
وأساطيرهم ، وهو طاهر في القرآن سوع حاص ، فليس قليلا ما يمس  
ليهود من سور القرآن وآياته . وأنت تعلم ، كان بين لبي واليهود  
من خصومة انتهت بهؤلاء يهود عن بلاد مرق أيام عمر بن الخطاب .  
وكان لليهود قد عزو حفا ، وكان كثير من العرب قد تهودوا .  
وليس من شك عدي في أن لاحتلال طين اليهود وبين الأوس  
والخزرج قد أعتد هذين نصيبين لقول لذين الحديده وتأيد صاحبه .

هذه حال يهود . فاما نصارى فقد أنتشرت ديانتهم بشار  
عوي في حصص بلاد العرب فيما بين الشام حيث كان النعمانيون  
الخاصعون لسلطان الروم ، وفي بين العراق حيث كان المنادرة الخاصعون  
لسلطان اميرس ، وفي حران من بلاد النجف التي كانت على اتصال  
بالحبش وهم نصارى .

و يظهر أن قبائل من العرب الذين تنصرت قبل لإسلام أزمان  
تختلف طولا وقصرا . فمنهم من لا أن تغلب كانت نصرانية وأنها  
أثارت مسألة من مسائل الفقه . ولقد عده أنه لا يفصل من العرب  
إلا الإسلام أو لسف ، فاما الحرية فتفصل من غير العرب . ولكن  
نفس قلت منها الحرية ، فلها عمر فيما يقول الفقهاء .

تعلقت النصرانية بدين كما تعلقت اليهودية في بلاد العرب .  
وأكرم الظن أن الإسلام لو لم يظهر لآتته الأوس والعرب الى اعتناق

أحدى هاتين الديانتين . ولكن الأمة العربية كان لها مراحها الخاص  
الذى لم يستقم لحدين الدين والذى استع ديا حديدا أقل ما يوصف  
به أنه ملائم ملائمة تامة لطبيعة الأمة العربية .

مهما يكن من شئ - فليس من المعقول أن ينشر هذان لديان  
في البلاد العربية دون أن يكون في أثر طاهر في الشعر العربي من  
الإسلام . وقد رأيت أن العصبية العربية حملت العرب على أن ينخلوا  
الشعر ويصفوه في عشرتهم في الحداثة بعد أن صاع شعر هدد  
العشائر . فالأمر كذلك في اليهود والمصريين - بعضوا لأسلافهم من  
الحاقلين وأبوا إلا أن يكون في شعر كشعر غيرهم من الوثنيين . وأبوا  
إلا أن يكون في شعر وسؤدد كما كان لهم شعر وسؤدد أيضا ، فالتجوا  
كما اتحل غيرهم . ونظموا شعر أص ، هو إلى السموع من عادياء وإلى  
عدي من ريد وغيرهم من شعراء اليهود والمصريين .

والرواة القدماء أنفسهم يحسون شئنا من هذا فهم يحدون فيما  
ينسب إلى عدي من ريد من الشعر سهولة وليد لا تلائم العصر  
الحاقل ، فيحاولون تلمس ذلك بالإقليم ولا تصل إلى عرس وأصطاع  
الحياة الحصرية التي كان يصطنعها أهل أخيه .

ومن نجد مثل هذه السهولة في شعر اليهود ، في شعر السموع  
سوع حاص ، ولا نستطيع أن نعلمها مثل ما عللت به في شعر عدي ،  
فقد كان السموع - في تحت الأحرار يعيش عيشة حسنة

أقرب الى حياة السادة اللدنية منها الى حياة أصحاب الحضر . ويحدثنا صاحب الأغانى بأن ولد السموع انخلوا فصيدت قبة أصاوغها الى أمرئ القيس ورغموا أنه مدح بها السموع حين أودعه سلاحه في طريقه الى قسطنطينة . ويرجح عن أن ولد السموع هم الذين انخلوا هذه القصيدة لرائية التي تصاف بالأعشى ونرى يقال إنه مدح بها شرجيل بن السموع في قصته المشهورة مع السكلى .

فأنت ترى أن للعواصف اللدنية على اختلافها وتنوع أعراصها مثل ما للعواصف السياسية من تأثير في التحول الشعر وإضافته الى الجاهليين .

وإذا كان من الحق أن تختلط في قول الشعر لدى يظهر فيه تأثير ما للأهواء السياسية، فمن حق أيضا أن تختلط في قول الشعر لدى يظهر فيه تأثير ما للأهواء الدينية .

وأكثر الظن أن الشعر لدى يسمى جاهليا مسموعا بين السياسة والدين . ذهب هذه تسيطر منه وذهب هذا بالسيطر الآخر .

ولكن أسباب التحول ليس مقصورة على السياسة والدين بل هي تتجاوزهما الى أشياء أخرى .

## القصص والتمثال الشعر

من هذه الأشياء، شيء يسر دنا ولا سباسة. ولكنه يتصل بالدين  
و بالسباسة اتصالاً قوياً. يريد به القصص الذي أثر به عليه عبره في  
قدمنا من القول .

والقصص في نفسه ليس من السباسة ولا من الدين، وإنما هو من  
من فون الادب العربي. يستخرج من أدب الخاصة و آداب الشعبية.  
وكان صراحة للون من ألوان الحياة الشعبية عند المسلمين، وأرهرو  
في عصر غير قصير من عصور لأدب العربي الراقية، أهررو أيام أبي أمية  
وصدرا من أيام بني العباس، حتى د كثر تدوين و نشر الكتب  
و استطاع الناس أن يهوا بالقراءة دون أن يتكفوا الاستقال إلى محاسن  
القصص، صنف أمر هذا الفن وأحد يفتد صغته الأذنيه الراقية  
شيئا فشيئا حتى آتال وأصرف عنه الناس .

وهذا الفن الذي تناول الحياة العربية والإسلامية كلها من ناحيته  
حيالة لم يقدروها الذين درسوا تاريخ آداب العربية قدرها، لا أكاد  
أستثنى منهم إلا الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، فهو قد فطن لم  
يمكن أن يكون من تأثير القصص في التمثال الشعر وصاعه إلى القدماء،

كما نطق لأشباء أخرى قيمة وأحد م. ، حاطة حسنة في الجزء الأول من كتابه "تاريخ آداب العرب". يقول إن هذا الفن قد تناول الحيات العربية والإسلامية من ناحية حيالية حليصة. ويعتقد أن الذين يدرسون تاريخ الأدب العربي لو أنهم عَنُوا يدرس هذا الفن عناية علمية صحيحة لوصلوا إلى نتائج قيمة ولعنرو رأيهم في تاريخ الأدب . فهم تكني لأسباب التي دعت إلى نساء في القصص عند المسلمين . فقد نشأ هذا الفن بوكات مدله عند المسلمين هي بعينها مرحلة الشعر القصصي عند قدماء اليونان . وكات حله منه وبين الجماعات هي بعينها أصله من شعر أمصصى اليوناني وجماعات اليونان لقدماء .

وليس من شئ عند في أن هؤلاء المصاحص من المسلمين قد ركوا أنار قصصيه لأهل حلا وروعة وحسن موقع في النفس عن "الإبادة" و "الأودسا" . وكل ما بين القصص الإسلامي واليوناني من الفرق هو أن الأول لم يكن شعرا كله وإنما كان ثرا يربيه الشعر من حين إلى حين بينما كان الثاني كله شعرا . وأن الأول لم يكن بعينه صاحبه على أنعام الأدوت الموسيقية بينما كان الثاني يوناني يعتمد على الأداء الموسيقية اعتمادا مائ وأن الأول لم يجد من عناية المسلمين مثله وحد الكى من عناية يونان ، وبما كان اليونان بقدسون "الإبادة" و "الأودسا" وبعون جمعهم وترتيبهم وروايتهم وداغتهما عناية المسلمين بالقرآن ، كان المسلمون مشمولين «قرآن وعنونه عن قصصهم هذا .

وفي الحق أنه لأدب العربي لم يدرس في العصور الإسلامية  
 الأولى لنفسه واه درس من حيث هو وسيلة في تفسير القرآن وماويله  
 واستنباط الأحكام منه ومن الحديث . وكان هذا كله أدنى في حد  
 ونقص به من هذا النقص الذي كان يعمى مع الحول حيث أراد  
 ويتقرب من نفس الشعب ويمثل له أهوائه وشهوته ومُسله العليا .  
 فلمن عربيا أن يعترف عن النقص فحجاب الحد من المسلمين .  
 كان قصص المسلمين يتحدثون في الأساس في مساعدة لأمنصار  
 فيد كرون لهم قديم العرب والعجم وه . تتصل بسور . ووضوح معهم  
 في سير القرب والحدث ورويه لسره والمعارى والتشويح في حيث  
 يستطيع الخيال أن يذهب بهم لا في حيث لهمهم أله ونصدي أن  
 يفتقوا . وكان من كليمين هؤلاء لقصاص مشعورين . يقول اليهم  
 من حديث . وما أسرى ما قصص الغنائ والاشراء لقسمه هذه لأدبه  
 الحديد من وجهة اسب سبه والديده ، فاضطعوها ومبصروا عليها  
 واستغلوه استغلالا شديدا ، وأصبح القصص أدر ساسيه كاسع .  
 وليس من شك في أن العناية بدرس هذا من سنتهى في مثل  
 ما انتهت إليه العناية بدرس الشعر من أن الأحراب السياسية على  
 اختلافها كانت تصططع القصص يدرشون لها الدعوة في طقات  
 الشعب على اختلافها كما كانت تصططع الشعراء ياصلون بها ويدودون  
 عن ترثها وزعمائها . ونحن نعرف من سيرة ابن ، يتحاى أنه كان هاشمي



المرءة واهوى ، وأنه لقي في ذلك عناء من الأمور في آخر عهدهم  
بالبصن ، وأنه طهر بحس المرءة عند العباسيين في أول عهدهم  
بالمملك .

واتعمق في درس حياة انقصاص الدين كانوا يهضون في النضرة  
و الكوفة ومكة والمدية وغيرها من الأمصار يطهرها من غير شك على  
الأسلالت التي كانت تصل بين هؤلاء انقصاص وبين الأحزاب السياسية .  
غير أن انقصاص لم يتأثر بالسياسة وحدها ، وإنما تأثر بالدين أيضا .  
وقد رأيت في لفصل الماضي مثلا توصي هذا التأثير .

ونأثر انقصاص شئ ، آخر غير انسياسة والدين هو روح الشعب  
الذي كان يتحدث اليه ، ومن هنا عني عبادة شديدة بالأساطير  
والمعجرات وعرائف الأمور . ومن هنا اجتهد في تفسير هذه الأساطير  
وذلك الالفص منها وتوصيچ العدمص . فحين نستطيع أن نقول إن  
هذا انقصاص كان يستمد قوته وثروته من مصادر مختلفة ، أهمها أربعة  
(الأول) مصدر عربي هو القرآن وما كان يتصل به من الأحاديث  
والروايات ، وما كانت يتحدث به العرب في الأمصار من أخبارها  
وأساطيرها وما كانت تروى من شعر ، وما كان يتحدث به الرواة من  
سيرة النبي والخلفاء وعمرواتهم وفتوحهم .

(الثاني) مصدر يهودي نصراني ، وهو ما كان يأخذه انقصاص من  
أهل الكتاب من أخبار الأنبياء والأحبار والزهاد وما يتصل بذلك .

وبس يبنى أن يبنى لها تأثير أولئك اليهود والبصاري الذين أسلموا  
وأخذوا يصنعون الأحاديث وذكروها لمخلص أو غير مخلصين .

(الثالث) مصدر فارسي . وهو هذا الذي كان يستعقب القصص  
في العراق خاصة من العرس ثم يتصل بحديثهم وأساطيرهم وأخبار  
الهند وأساطيرها .

ثم المصدر الرابع مصدر محلي هو هذا الذي يمثل شخصية «أمامه  
من العربية من أهل العراق والحريه والثاء من الأساطير والسرايا ومن  
«هم» من هؤلاء الأحلاف الذين كانوا مهتمين في هذه الأقطار والذين  
لم تكن لهم سيده ولا وجود سياسي طاهر .

كل هذه المصادر كانت ثمة القصص . فكيف ترى في قصصهم  
ألبنا من الهول وقصص من «حديث قد لا يعجب العامة المحققين  
لأصطفاها وظهور سلطان الحيل فيها . ولكن هذا هو «أدب»ها  
رغم أنها يجب به من يستفاد أن هذا «أدب» هذه الأقوام الممتعة التي  
تتصل بشعوب مختلفة وأحبال ممتدة من الناس . ويجب به وع  
خاص الذين يحاولون أن يقدموا فيه عصبه الشعوب والأحبال التي  
كانت تلهم هؤلاء القصص .

مهما يكن من شيء ، فإن هذه المصادر كلها كانت تطلق ألسنة  
القصص بنا كانوا يتحدثون به إلى سامعيهم في الأمصار . وأنت تعلم  
أن القصص العربي لا قيمة له ولا حظ في نفس سامعيه إذا لم يره  
الشعر من حين إلى حين . ويكفي أن تطرق في « ألف ليلة وليلة »

وفي قصة عترة وما يشبهها، فسترى أن هذه القصص لا تستطيع أن تستعنى عن الشعر، وأن كل موقف فيم أودى خطر من مواقف هذه القصص لا يستقيم بكتفه وسامعه إلا إذا أضيف إليه قدر من شعر جميل أو كثير يكون عمدا له ودعة . وإذن فقد كان القصص أيام بني أمية وبني العباس في حاجة إلى مقادير لا حدها من الشعر يربون بها قصصهم ويدعمون بها مواقفهم المختلفة فيه . وهم قد وجدوا من هذا الشعر ما كانوا يشتهون وهو ما كانوا يشتهون .

وأكد لا شك في أن هؤلاء القصص لم يكونوا يستقلون بقصصهم ولا يكبحون أيدى من الشعر في هذا القصص ، وإنما كانوا يستغيثون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويفتقونها ، وحرر يظلمون هم القصائد وينسقونها . ولديهم نص يبيع لنا أن يقرض هذا الموضع ، فقد تحدثنا أن سلام أن من يصدق كان يصدق عما كان يروي من عناء الشعر ويقول لا علم في الشعر إنما وثق به فاحمله . فقد كان هناك قوم إذن يأتون الشعر وكان هو يجمعه .

من هؤلاء القوم :

اللس من الحق ما أن يصور أن هؤلاء القصص لم يكونوا يتخذون إلى سبب حسب . وإنما كان كل واحد منهم يشرف على طائفة غير قبيلة من الرواة والمثقفين ومن النظم والمثقفين ، حتى إذا استقام لهم مقدار من تنسيق أولئك وتنسيق هؤلاء طعموه بطائفتهم وفتحوا به من روحهم وأدعوا بين الناس . وكان مثلهم في هذا مثل القاص

الفرسي المعروف ( أنكسدر دوما ) الكبير ، وأنت تدعش إذا رأيت هذه الكتلة الشعرية التي تنبت فيما بقى لنا من آثار القصص ، فليدب في سيرة ابن هشام وحدهاء؛ أوين من الشعر نظم بعضها حول عروود ندو ، وبعضها حول عروود أحد ، وبعضها في غير هذين العروتين من المواقف والوقائع ، وأصيب كل هذا إلى شعراء وغير شعراء من الأشخاص المعروفين ، وأصيب بعضه إلى حمرة ، وبعضه إلى علي ، وبعضه إلى حسان ، وبعضه إلى كعب بن مالك ، وأصيب بعضه إلى نفر من شعراء فرس ، وإلى نفر من فرس ، يكون شعراء قط ، وإلى نفر آخرين من عرب فرس ، ومن عرب سيرة ابن هشام أقل منها خطأ في هذا الشعر الذي تصف في جاهليين مرة وإلى انحصارين مرة أخرى .

وكثرة هذا الشعر الذي صدر عن لمصباح الشعرية في لأعصار الخليفة أيام بني أمية وبني العباس كالمس ، في تشاء رأي يظهر أن القدماء كانوا مقتنعين به ، وإن كثرة المخطئة من المحدثين ليست أولية قضاة ، وهو أن الأئمة لعربية كلها شاعرة ، وأن كل عربي شاعر يضعه وسبقته ، يكفي أن يصرف همه إلى القول فإذا هو يساق إليه انسياقا ، كان القدماء يعتقدون هذا ، وما يزال المحدثون يروونه ، وعدد أولئك وهؤلاء أن لديهم كثرة فحشه من الشعر تصاف إلى من منهم المعروف ومنهم غير المعروف ، منهم لخصري ومنهم السدوي ، فأما العلماء والمحققون منهم فقد استطاعوا أن يهو من هذا الشعر مقدارا .

قليلاً أو كثيراً لم يستطيعوا أن يصنوه ولا أن يطمشوا إليه . ولكم  
بعد الحدف واسمى والبعد والتحصيص بطروءه لديهم مفادير صحيحة  
تصاف إلى س منهم المعروف ومنهم المجهول ، ومنهم الحصري ومنهم  
الدوي . فأى شئ أيسر من أن يعتقدوا أن العربى شاعر فطرته ،  
وأنه يمكن أن يكون الرحمن عرب ليقول الشعر متى شاء وكيف شاء .  
ولكن رأينا كهذا لا يلائم طبيعة الأشياء . ونحن نستطيع أن  
نؤمن بأن الأئمة تتفاوت حظوظها من الشعر ، بعضها أشعر من بعض ،  
وبعضها أكثر شعراء من بعضها الآخر . ولكن لا نستطيع أن نفهم أن  
يكون حبل من ناس شاعرا كله ، أو أن تكون أمة من الأئمة شاعرة  
كلها رجالا ونساء شاعرا وشيئا ووداء أيضا . وهذا بوضوح قديم  
نذا ، على أن العرب لم يكونوا جميعا شعراء . فكثيرا ما حاول العربى  
قول الشعر فلم يوفق إلى شئ . وقد طلب إلى ابنى في بعض المواضع  
التي أحسح المسلمون فيها إلى الشعر أن يأتوا على أن يقول شعرا  
يرد به على شعراء قريش فأى إلى أن يأتوا له ، لأنه لم يكن من ذلك  
فى شئ ، وأذن لحسان .

وما نرى أسا في حاجة إلى أن نقيم الأدلة ونسبط البراهين على أن  
العرب لم يكونوا كلهم شعراء . وإنما سببنا أن أوضح أن كثرة هذا  
الشعر هي التي حبلت إلى القدماء والمحدثين أن لفظ العربى مرادف  
لللفظ الشاعر . فإذ أصعبت في ما قدمت ثبت تجد كثيرا من الشعر  
يصف إلى قائل غير معروف بل غير مدعى ، فتراه يقول مرة قال

الشاعر - وأخرى قال الأول ، وثالثة ، قال لآخر ، وراثة قال رجل من بني فلان ، وحامسة قال أعرابي وهم حرا - يقول ذا لاحظت  
 دمه كله عذرت القدماء والمحدثين إذا اعتمدوا أن العرب كلهم شعراء .

والحق أن العرب كانوا كثيرهم من لأمم ذات الفصاحة واللس  
 والأدهان القوية ، أكثر فيهم لشعر دون أن يعلم كثرتهم ، وأن أكثر حادما  
 لشعر الذي يصف أي غير دليل أو في قتل مجهول إنما هو شعر  
 مصنوع موضوع ، يحل التحولا لسبب من هذه الأسباب إلى نحن  
 بإرائها ومنها القصص .

كثرة هذا الشعر الذي أحج إليه انقصاص لعدد من قصصهم من  
 ناحية وليس فيها الفراء والسامعون من حجة أخرى خدعت فريقا من  
 العلماء ، فسلخوا على أنها صدرت عن العرب حقا . وقد فطن بعض  
 العلماء إلى . في هذا الشعر من تكلف حيد ومن ضعف وإسفاف  
 حقا آخر ، وقص أي أن بعض هذا الشعر يستحيل أن يكون قد صدر  
 عن الذين يسمون بهم . ومن هؤلاء العلماء محمد بن سلام الذي أنكر  
 كما رأيت ما نصيغه أن يستحق أن ينادى بوجهه وفتح . وأنكر كثير  
 من رواة ابن السكيت في السيرة من شعر لرجل والثب ، سواء منهم من عرف  
 بالشعر ومن لم يعلم شعرا قط . وآخرون غير ابن سلام أنكروا ما روى  
 ابن السكيت وأصحابه العضاوص ، بذكر منهم ابن هشام الذي يروي لنا  
 في لسيرة ما كان يرويه ابن السكيت ، حتى إذا فرغ من رويته القصيدة .

قال : وأكثر أهل العلم بالشعر ، أو بعض أهل العلم بالشعر يكره هذه القصيدة أو يكرها لمن يضاف إليه .

ولكن هؤلاء العلماء الذين قطعوا لآخر القصص و آتوا الشعر جُدعوا أيضا ، فلم يكن ضائع الشعر جميعا صاعا ولا محققين ، بل كان مهم ذو نصيرة البهدة والنفوذ الدكي و طبع اللصيف ، فكان يجحد الشعر ويجس آتخاله وتكلفه ، وكان قصا يعهد في إحصاء صغته و يوفق من ذلك إلى الشيء الكثير ، و من سلام نفسه يتحدثنا بأنه إذا سهل على العلماء النقاد أن يعرفوا ما تكلفه الصغناء من المتحسين ، فمن العسير عليهم أن يعرفوا ما كان يتكلفه لعرب أنفسهم . وقد رأيت أن العرب أنفسهم كانوا يتكفون و يصنعون و يكذبون ، فيسرفون في هذا كله .

و نعل من أوضح الأمثلة لا تجد أن أس سلام عن هذا الشعر المتحل هذه الصائفة التي ردها على أنها أقدم ما قلته العرب من الشعر صحيح ، والتي يضاف بعضها إلى حديثه الأرش ، وبعضها إلى زهير بن حبيب ، وبعضها إلى الصري بن تميم ، وبعضها إلى مالك وسعد أبي زيد مائة بن تميم ، وبعضها إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكل هذا الشعر إذا طرقت فيه تحف سقيم طاهر التكلف من الصفة . واضح جدا أن راويا من الرواة أو قاصا من القصاص تكلفه ليسر مثلا من الأمثال أو أسطوره من الأساطير أو لفظا عربيا أو ليلد القارئ أو السامع ليس غير ، وانصرف لذلك مثلا هذين البيتين اللذين يضافان إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وهما .

قالت عميرة ما الرأسك بعد ما      عند الزمان أتى سون مكر  
أعمر إن أباك شيب رأسه      كزألبلى واحتلاف الأعصر

قال آس سلام وعيره من العلماء والرواة : إن هذا الرجل إنما سمي  
«أعصر» لهذا البت الأخير . فل آس سلام . ومعص الله من يسميه  
«بمعصر» وليس بشيء .

وآس سلام نفسه يتحدثنا أن معذا كان يعيش في العصر لدى كان  
يعيش فيه موسى بن عمران ، أى قبل المسيح هرون عدة أى قبل الإسلام  
ما أكثر من عشرة قرون . قد لاحظنا أن أعصر هذا هو آس سعد بن  
قيس عيلان بن لباس بن مصر بن راد بن معد ، رأب أنه إن عاش بعد  
عاش في زمن متقدم جدا أى قبل الإسلام بعشر قرون على أول تقديره .  
أفتظر أن هذين البيتين اللذين قرأتها هنا يمكن أن يكونا قد  
قبلا قبل الإسلام بألف سنة ! ونحن لا نعرف اللغة العربية قبل الإسلام  
بثلاثة قرون أو أربعة قرون ، ونحن نحدد منتهى غير قليلة في فهم الشعر  
العربي الصحيح لدى قبل أيام النبي أو بعد النبي ، ولا نحدد شئ من  
العسري بهم هذا الكلام الذى إن صح رأى آس سلام وقد قيل هل النبي  
يا أكثر من عشرة قرون .

أليس واضحاً جداً أن هذين البيتين إنما قيلتا في الإسلام ليسراً  
أسم هذا الرجل الذى هو في حقيقة الأمر من أشخاص الأساطير  
لا يعرف أوحد في حقيقة الأمر أم لم يوجد .



وقل مثل هذا في تصيفه ابن سلام الى مالك وسعد أبي زيد مناق  
 ابن تميم . فبحسب لا يعرف من سعد . ومن مالك ومن زيد ماء ومن تميم .  
 وأكبر طعن عندنا أنهم أشخاص أساطير لم يوجدوا قط . ولكن رأى  
 الرواد وتفصاض مثلا فتعمله العرب وهو "ما هكذا نُورد" سعد  
 الإبل" . وهم في حاجة ان ينسبوا الأمثال ، والشعوب نفسها في حاجة  
 الى تفسير الأمثال أيضا . ومن هنا اخترعت هذه القصة التي نطق  
 فيها سعد ومالك بما يصف بهما من البر .

وقل مثل هذا فيما يصف للعمر من تميم وهو .

قد رعى من دلوى أضطرب  
 وسأى في هراء واعتراها  
 ألا تبحى ملأى بحىء قرأها

ولأمر عددا لا يحاور تفسير هذا البيت الأخير الذى كان يحمرى  
 محمرى المثل فيما يظهر . وقل مثل هذا في هذا الشعر ندى يصف الى  
 حديعة الأبرش . وفى كل ما سصل محديعة وصاحته الرءاء وآس أخته  
 عمرو بن عدى ووزيره قصير .

فليس لهذا كله إلا أصل واحد هو تفسير طائفة من الأمثال  
 ذكرت فيها أسماء هؤلاء الناس كلهم أو بعضهم كقولهم "لا يطاع  
 لقصير أمر" . وقولهم : "لأمرى ما حدع قصير أمره" ، وقولهم :  
 "شب عمرو على الطوق" . أو ذكر فيها ما يتصل هؤلاء اساس  
 في هذه القصص التي كانت شائعة عند هؤلاء الأخلاط من سكان

العراق والحريرة والشأم وما ينصل بها من نوادي العرب، كفرنس  
حدمة التي كانت تسمى "العصا" والبرج الذي ساء قصير على العصا  
بعد أن سقطت وكان يسمى "رج العصا"، ودم حدمة الذي جمعه  
الزباء في طست من الذهب، ورجال عمرو بن عدى التي آحتل قصير  
في إدحائها تدمر وعليها لرجال في العرائر.

وتستطيع أن تذهب حد المذهب من الفهم والتفسير في كل هذه  
الحكايات والأساطير التي تنصل بالأسماء والأمثال والامكة وما إليها  
وما ينشد فيها من الشعر.

ولكن القدماء لم يذهبوا هذا المذهب، وإبى قبلوا هذه الأحجار  
والأشعار على علالتها ورووها على أنها صحيحة لأهم سمعوها من رواة  
كانوا يعتقدون أنهم تمت مصححون، ومن هنا روى ابن سلام وغيره  
أبياتاً لحديمة على أنها من أقدم الشعر العربي وهي التي تندي بهذا  
البيت :

ربما أوفيت في علم ترفن ثوبى شمالات

وهناك لون من ألوان القصص كان الناس يتخذون به ويميلون  
إليه ميلاً شديداً ويروون فيه الأكاذيب والأعاجيب وهو أحجار المعمرين  
الذين مدت لهم الحياة إلى أمد مما ألف الناس، وقد رويت حون  
هؤلاء المعمرين أحجار وأشعار قلها العلماء الثقات في القرن الثالث  
للهجرة كأي حاتم السجستاني وابن سلام نفسه، وهو يروى لنا في كتاب

الطقات هذا الشعر المكلف السحيف الذى يصف الى أحد هؤلاء  
المعمّرين وهو المستوعر بن ربيعة بن كعب بن سعد لذى بنى بقا،  
طويلا حتى قال :

ولقد سميت من الحياة وطوها      ورددت من عدد السنين مئيا  
مائة أتت من بعدها مثالي      وازددت من عدد الشهور سنا  
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا      يوم بكر وليلة تحبونا

ويروى لنا ابن سلام شعرا آخر ليس أقبل من هذا الشعر مخففا  
ولا تكللا ولا أنحالا يصيغه لى دؤود بن زيد بن هذ حين حصره  
الموت :

اليوم بقى لدؤود يثقه      لو كان للنمر على أبيه  
أو كان قرى وحدا كفيه      يرب هب صبح حوته  
ورب غيل حس لو يته      ومعصم محصب شينه

فانت ترى أن ابن سلام على ما أظهر من الشك في كان يروى  
ابن إسحاق من شعر عاد وثمود وتبع وحمير ، قد كمدع عما كان يرويه  
ابن إسحاق وغير ابن إسحاق من القصص من الشعر يصيغونه الى  
التقدماء من حاضرة العرب وما ديتهم .

والرواة أشد أخذاء حين يتصل الأمر بالبادية اتصالا شديدا .  
وبذلك في هذه الاخبار التي يسموها "أيام العرب" أو "أيام الناس"  
نهم سمعو ، بعض هذه الأخبار من الأعراب ثم رأوها نقص مفصلة

مطوّله نقلوا ، كان يروى منها على أنه حدّ من لأمر ، ورووه وفسروه  
 وفسروه أشعر واستخلصوا منه تاريخ العرب ، مع أن الأمر فيه  
 لا يتجاوز ما قدمناه . فثبتت هذه الأحبار إلا المظهر القصصى لمده  
 الحياة العربية القديمة ، ذكره عرب بعد أن استقروا في الأمصار فردوا  
 فيه وعمود وريتوه بالشعر كما ذكر اليونان قديمهم ونسّوا فيه "الإلياذة"  
 و "الأوديسا" وغيرهما من قصائد الشعر القصصى التى لم يكن يكاد  
 ينامها الا حصص . - حثرت ابسوس وحرب داحس والعراء وحرب  
 الفساد وهذه « الأييم » الكثيرة التى وصفت فيها الكتب وعلم فيها  
 الشعر ليست في حصة لأمر . إن استقدمت طريقنا إلا توسيعا  
 وجمعة لأساطير ودكريات كان العرب يتخذون بها بعد الإسلام .

ومن هنا نستطيع أن نقول مطمئنين . أن مؤرّج الآداب العربية  
 حليق أن ينف موقف لثنت — . أن لم ينف موقف لإسكار الصريح .  
 أمام هذا الشعر الذى يضاف إلى جاهليين ، والذى هو في حقيقة الأمر  
 تفسير أو تزيين لقصة من لقصص أو توصيح لاسم من الأسماء أو شرح  
 لمثل من الأمثال .

كل ما يروى عن عاد وثمود وطهم وحديس وحرهم والعايق  
 موضوع لا أصل له .

وكل ما يروى عن ننع وحيد وشعراء اليمن في المصور القديمة ،  
 وأحبار الكهان ، وما يتصل بسبل العرم وتفرّق العرب بعده موضوع  
 لا أصل له .

وكل ما يروى من أرم العرب وحروبها وحصودتها وما يتصل  
بذلك من لشعر حقيق أن يكون موضوعا . والكثرة المطلقة منه  
موضوعة من غير شك .

وكل ما يروى من هذه الأخبار والأشعار التي تنصل بما كان بين  
العرب والأنتم الإحييه من العداوات قبل الإسلام كعلاقاتهم بالفرس  
واليهود والحشة حقيق أن يكون موضوعا . وكثرته المطلقة موضوعة  
من غير شك .

وليسنا بذكر شعر آدم وما يشبهه فحق لم يكتب هذا الكتاب  
هالزين ولا لاعمين .

## الشعرية والتحال الشعر

ولشعرية ما رأيت فيهم وفيما يمكن أن يكون ثم من الأثر  
 القوي في التحال شعر والأحار وصادفها إلى الجاهلين " أما نحن  
 فمعتد أن هؤلاء الشعورية قد تنعم أحاراً وأشمار كثيرة وأصافوها  
 إلى الجاهلين والإسلاميين . ولم يبق أمرهم عند آتون الأحار  
 والأشعار ، بل هم عند اضطروا حصومهم ومطريهم إلى التحال  
 والإسراف فيه . وأنت تعلم أن أصل هذه العرفة إنما هو عند أحمد  
 لدى قصيدة الفرس المعلوم للعرب القديم . وأنت تعلم أن هذه  
 الحصومة قد أحدث مظهر مختلف من مظهر السج للعرب ، وأحدث  
 تمراً مختلفة بعيدة في حيزه لمسلمين الدينية والسياسية والأدبية . ولكنا  
 لا نريد أن نتجاوز في هذا بمقتضى تأثير الشعورية في الحياة الأدبية  
 وحده ، وفي التحال الشعر على جهدين سوي حص .

لم يكذب منتصف القرون الأولى بالهجرة حتى كان فريق من سبي  
 الفرس قد استعرب وأعلن العربية واستوطن لأقطار العربية الحالية ،  
 وأحد يكون له فيها نسل وذرية . وأخذ هذا الشباب الفارسي الناشئ  
 يتكلم العربية كما تتكلمها العرب أنفسهم ، وما هي إلا أن أحد هذا

اشباب يحاول بطم الشعر العربي على نحو ما كان يطمه شعراء العرب . ثم لم يقف أمرهم عند بطم الشعر بل تجاوزوه إلى أن شاركوا العرب في أعراسهم الشعرية السياسية . فكان من هؤلاء الموالى شعراء يتعضون للأحزاب العربية السياسية ويتاصلون بها .

وهذا الموقف السياسي الذي وقفه الموالى من الأحزاب يسر الأمر عليهم تسيرا شديدا . فقد كان أحدهم لا يكاد يظهر تأييده لحزب من هذه الأحزاب حتى يهرج به هذا الحزب ويعطف عليه ويحول به الصلات ويذهب في تشجيعه كل مذهب . على نحو ما تفعل الأحزاب السياسية الآن بالصحف التي تقف مع مواقف التأييد . تقلع عنها وتمسحها المعونة لا تنال في ذلك شيئا لأنها لا تريد إلا نشر الدعوة . ولأنها لا تريد إلا القور . ومن آتسى القور وحده كان حذرا ألا يحمق في اختيار الوسائل وتدبر العواقب .

وكذلك كانت تفعل الأحزاب العربية أيام سي أمية . كان هذا المولى يعلن تأييده للأمويين في قصيدة من الشعر ثم أسرع ما يصعد الأمويون إليهم لا يسميهم أكان محصا لهم أو متعيا للخطوة والزمي . وكذلك كان يفعل حزب آل الزبير وحزب الهاشميين . وكذلك كانت المحصومة بين الأحزاب العرسة تنجح للعوليين المتورين من الموالى أن يتدخلوا في السياسة العربية وأن يهجو أشراف قريش وقرابة النبي .

كان حتى أمية يشجعون أبا العباس الأعمى ، وكان آل الزبير  
يشجعون إسماعيل بن يسار ، وكان هذان الشاعران يستدعيان لأسمهما  
هو أنسوف قرين حصة والعرب عامة في سبيل أن يبدل آل مروان  
وآل حرب أو آل الزبير .

ولم يكن هؤلاء الموالى محللين للعرب حصاء ، إنما كانوا يستغلون هذه  
'خصومة السياسية بين الأحزاب ليعيشوا من جهة وليخرجوا من حياة  
الرق أو حيدة الولاء إلى حياة تنسج حياة الأحرار والسيادة من جهة  
أخرى ، ثم ليشعروا ما في صدورهم من عل وينفخوا عن أنفسهم ما كانوا  
يضمرون من صعبه للعرب من جهة ثالثة .

ولعل إسماعيل بن يسار أظهر مثل هذه الطائفة من شعراء الموالى  
حين كانوا يعصون العرب ويردوهم ويستغلون ما بينهم من  
'خصومات سياسية داخلاتهم ولذاتهم وأهوائهم . قالوا كان إسماعيل  
بن يسار زبيرى الهوى ، فمما ظهر آل مروان بآل الزبير أصبح  
إسماعيل مروانيا وقلبه سو أمية ، فاستأذن دت يوم على الوليد بن  
عبد الملك فأقره ساعة حتى إذا أدن له دخل عليه يسكى ، فلما سأله عن  
مكانه هذا قال : أحرته وأنت تعلم مرواني بتي ومروانية أى ، فأخذ الوليد  
يهن عليه ويعتذر إليه وهو لا يزداد إلا إعراقا في السكاء ، حتى وصله  
الوليد فأحسن صلبه ، فلما خرج تبعه بعض من حضر مسأله عن هذه  
المرواية التي ادعاها . ما هى ؟ ومتى كانت ؟ فأجاب : إن هذه الرواية  
هى بعضا لآل مروان وهى التى حلت أناه يسارا وهو يموت على أن



يتعزب الى الله فمن مروان بن الحكم ، وهى التى تحمل أمه على أن  
تعلن آل مروان مكان ما تتعزب به من التسبيح .

ولكن ان مروان كانوا فى حاجة الى أصطاع هؤلاء الشعراء  
يذودون عنهم ويأمنون بهى هاشم خاصة ، فقد علمت مرة بنى هاشم  
فى نفوس الموالى والفرس .

ولرواذا يحدثوا بأن حب بنى أمية شعرهم أى العباس الأعمى  
لم يكن له حذ ، فقد كانت صلات بنى أمية ترسل له فى مكة . وحين  
عبد الملك مرة فدخل عليه هذا الشاعر ونشده شعرا محامداً من  
الزبير ، خلف عبد الملك على من فى المجلس من قرائته ومن قرئش  
يكسونه كل واحد منهم . قالوا فألقيت عليه الحلل والنباب حتى كادت  
تخفيه ، ونهض مجلس عليه بعية مجلسه مع عبد الملك .

ولم تكن سيرة الهاشمين مع أنصارهم من الموالى أقل من سيرة  
الأمويين والزبيريين . وكانت النتيجة هذا كله أن استباح هؤلاء الموالى  
لأنفسهم هو العرب أولاً ثم ذكر قديهمم والافتحار بالفرس ثانياً .  
وقد صاع أكثر ما قال هؤلاء الموالى فى الافتحار بالفرس وهما لعرب  
أيام بنى أمية ، وكذلك تحد من ذلك طرفاً محزواً معياً فى الأعلى وغيره  
من كتب الأدب .

أما لعصر عباسى فيكفى أن تقرأ هذه القصيدة التى قالها أبو نواس  
يهجو فيها العرب وقريشاً ، والتى يقال إن الرشيد أطلال حبسه فيها .

وهم يخذلونها أن المرأة بلغت لإسماعيل من يسار أن أشد  
خرد بالعرس بين يدي همام من عند الملك ، فعصب عليه الخليفة  
وأمر به فألقي في ركة كانت بين يديه ولم يحرح إلا وقد أنفرد على  
الموت .

نسوق هذا كله لمعطيك صورة من حميد العرس على العرب وما  
كان له من أثر في الحياة الأدبية لقولاء الشعراء ،

وقد وصلنا إلى ما كنا نريد من تأثير هذه الشعوبية في أنحس  
الشعر ، ويكفي أن يخلو الشاعر من لحن في الاقتراب على العرب به  
في أن يثبت أن العرب أنفسهم كانوا قبل أن يبيع دم الإسلام هذا  
اللعن يعترفون بفصل العرس ونقدهم ، ويقولون في ذلك الشعر  
شعرون به ، يهيم ويتعول به أمثولة عندهم ، ولا سبب إذ كانت  
الحوادث التاريخية والأساطير تعين على ذلك ويندق منه ،

ومن الذي يستطيع أن يكر أن العرس قد سيطروا قبل الإسلام  
على العراق وأخضعوا لظاهم من كان يسكن حصره وباديشه من  
العرب ! ومن ذا الذي يستطيع أن يكر أن العرس قد أرسلوا جيشا  
تحت لحن وأخرج منه الخبيثة ' ومن ذا الذي يستطيع أن يكر أنه  
قد كانت بين العرس والعرب وقائع ، وأن ملوك الخيرة كانوا أتباعا  
للعرس يوفدون إليهم من حين إلى حين أشرف النادية العربية ' وإذا

كان هذا كله حقا لم لا يسع له المولى ° ولم لا يعترف به على العرب  
المتعلمين الذين يردونهم ويحدوهم دينا وحدا °

الحق أن لمولى لم يضر في هذا ، فهم أنطقوا العرب بكثير من  
أثر الكلام وشعره ، فيه مدح للمرس وثناء عليهم وتقرّب منهم ، وهم  
دعوا إلى أن لأعشى رار كسرى ومدحه وظهر نحو زه ، وهم أنصافوا إلى  
عدى بن زيد ولفيف من يعمر وعيه من يهد والعناد كثيرا من الشعر  
فيه الأشادة بملوك المرس وسطانهم وحيثهم ، وهم أنصافوا شاعرا  
من شعراء الصنف بأبيات رواها الثقات من رواه على أنها صحيحة  
لا شك فيها ، وهي أبيات تصاف في أبي الصلت بن ربيعة ، وهو  
أبو أمية بن أبي الصلت المعروف ، وقد يكون من الخبر أن يروى  
هذه الأبيات وهي :

لله درهم من عصية حرجي	ما إن ترى هم في الناس أمثالا
بيضا مريرة عمر حجة	أستاذت في البقيصت أمثالا
لا رمضون إذا حرت معافهم	ولا ترى منهم في الطعن ميثالا
من مثل كسرى وسابور الجنود له	أو مثل وهرير يوم أخيش إدا صالا
فاشرب هيثا عليك الخمر مرفعا	في رأس محمد أن دارا منك محلا
واختظم المسلمان دشات عامهم	وأسل اليوم في رديت يسالا
تلك المكارم لا تقبل من نبي	شيئا مما وعدا بعد أنوالا

ولشعر في مدح سيف بن ذي يزن ، وقد راد أبو فتيبة في أوله  
هذه الأبيات وهي أبلغ في الدلالة على ما يريد أن يدل عليه وهي .

لن يطلب الوزر أمثال أن دى ريز لح في البحر للأعداء أحوالا  
 أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده القول الذي قالوا  
 ثم انتهى نحو كسرى بعد تسعة من السنين ، لقد أسدت إيعالا  
 حتى أتى بني الأحرار يحملهم إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا

فانظر اليه كيف قدم الفرس على الروم في أول الشعر وعلى العرب  
 في صدره ، ولو أن العرب عدو روم بعد الإسلام وأرادوا سلطانهم كما  
 أرادوا سلطان الفرس وأخصصوهم لمثل ما أخصصوا له الفرس لكان  
 للروم مع العرب شأن يشبه شأن الفرس معهم . ولكن العرب لم ينفقوا  
 سلطان روم ، ولم يفسدوا ضائعهم من قاييمهم وضرب دولهم قائمة .  
 ومن أجل أن يروى أيما فسادا إسماعيل بن يسار في لغيره الفرس ،  
 فسترى بينها وبين الشعر الذي يصف إلى أبي الصلت ما يحمل على  
 شيء من الشك والتريفة . قال

إلى وحدث ما عودي بدي حور عند الحقاط ولا حوصى تمهدوم  
 أصلى كريم ومجدي لا تقاس به ولى لسان ككة السيف مسموم  
 أحى به مجد أقوام ذوى حسب من كل قزم بتاج الملك مغموم  
 بجاج سادة بلج مرازبة بحد عتاق مسامح مطاعيم  
 من مثل كسرى وساور اخود معاً والمزمران المجر أو تعطيم  
 أشد الكناس يوم الزوع إن رحفوا وهم أدأوا ملوك البرك والروم

يمشون في حلق المدينى ساعة متى انصراغمة الأسد اللهايم  
هناك إن تسألنى أنت لنا خرثومة قهرت عز الجرائم

على هذه النحو من آتجال الموالى لشعر والأحار بصيغوها الى  
العرب ذكرًا لماثر العرس وما كان هم من سلطان ومحد في اجاهلية .  
كان العرب مصطري الى أن يحسوا سون من الاتجال يشه هذا اللون .  
فيه تعليق للعرب على العرس . وهه إشارات لأن ملك العرس في الجاهلية  
وتسقطهم على العرب لم يكن من شأنه أن يدل هؤلاء أو أن يندم  
عليهم أولئك .

ومن هنا مواقف هذه الوجود التي تحدثت أمام كسرى محمد  
العرب وعمرتها ومعها وإبائها للصم . ومن هنا هذه المواقف التي تصف  
الى ملوك الحيرة والتي تطهر هؤلاء الملوك أحياءا عصاه مناهصين للملك  
الأعظم . ثم من هنا هذه الأيام والوقائع التي كانت للعرب على لفرس  
والتي تحدثت التي عن بعضها وهو يوم دى فار .

فانت نرى أن شعبية في مطهرها السياسى الأول قد حمت  
الفرس على آتجال الأشعار والأحار وأكرهت العرب على أن يلقوا  
بالآتجال بمثله .

على أن هذه الشعبية لم تلبث أن استعانت بعد سقوط الأمويين  
وقيام سلطان الفرس على يد العباسيين الى خلاف له صورة علمية  
نأدية أقرب الى البحث والجدل فى أنواع العلم منها الى ما كان معروفًا

من الخصومة السياسية بين العلف والمعلوب . وكان هذا الحو من  
اشعوية أحص من النوع السابق وأبع في كل العرب والفرس  
على الآتقال والإسراف فيه .

ولعلك تلاحظ أن أكثر المظقة من العلماء الذين أصروا إلى  
الأدب واللغة والكلام والفلسفة كانوا من العجم الموالى ، وكانوا  
يسطون سلطان أورراء وامثيرين من الفرس أيضا ، وكانت عايتهم  
قد استعالت من إشارات سنة الفرس في الميث والسلطان إلى ترويح  
حد السلطان الذي كسود يوم سى العباس ويقمه الأذلة الناهضة على  
ش الأمر قد ردت في أهله وعلى أن هؤلاء العرب الذين جبل بينهم وبين  
سيادة الفعية ليسو ولم يكونوا أحلا هذه السادة . ومن هنا كان  
هؤلاء العلماء والمضطرون أصحاب آرداء للعرب وعى عليهم وعص من  
أقدارهم .

وأما أبو شيد مفر من انتهى الذى يرجع العرب إليه فيما يروون  
من عة وأدب ، فقد كان أشد الناس عصا للعرب وأرداء لهم ، وهو  
لدى وضع كتابا لا يعرف الآن إلا سمة وهو "منايا العرب" ، وأما  
شبرى عيدة من علماء الموالى ومتكلمهم وفلاستهم فقد كانوا يعصون  
في آرداء العرب إلى غير حد ، يسلوهم في حروبهم ، يسلوهم في شعرهم ،  
يسلوهم في حضايتهم ، يسلوهم في دينهم أيضا ، فليست الرذقة إلا  
مهمرا من مناهر اشعوية . وليس تفصيل المارة على الطين والماس

على آدم، إلا مطهرا من مصهر لشعوبية الفارسية التي كانت تعصل  
المجوسية على الإسلام .

وأما تعدى "السن والسنين" كلاما كثيرا تسعين منه في أي  
حد كان انقراض يعجول آثار الأمم الأعجمية وقد صوبها على آثار العرب ،  
فهم يعجولون تحطت انقراض وسببهم ، وعلم الهند وحكمتها ، ومطلق  
اليونان وفلسفتها ، وهم يسكرون على حرب أن يكون لهم شيء يغارب  
هذا . واحاط بصرف ما يندث من قوة أثبت أن العرب يستطيعون  
أن يهيموا بكل هذه الأعجمية وأن كانوا يحرمها .

ولعل أصدق مثال هذه الحصوره المعينة بين علماء العرب والمؤلفين .  
هذا الكتاب الذي كتبه الحافظ في بيان والتأني وهو "كتاب العصابة"  
وأصل هذا الكتاب كما علم أن الشعوب كانوا يسكرون على العرب  
الخطابة ، ويسكرون على حصص العرب . كانوا يصنعون كتب ، خطبتهم  
من هيئة وشكل وما كانوا يخشون من أذاهم ، وكانوا يهيمون على العرب  
اتحاد العصابة والمحصرة وهم يحطون . فكتب الحافظ كتاب العصابة ليثبت  
فيه أن العرب أحطت من العجم ، وأن اتحاد الخطيب العربى للعصابة  
لا يعنى من فيه الخطأ . أثبتت العصابة محودة في القرآن والسنة  
وفي البوراة وفي أحاديث القدماء . ومن هذا معنى الحافظ في تعداد  
عصائل العصابة حتى أشق في ذلك مهرا صعبا .

والذى يصيبنا من هذا كله هو أن نلاحظ أن الحافظ وأمثاله من الذين كانوا يدعون بالرد على الشعوبية ، مهما يكن علمهم ومهما تكن روايتهم لم يستطيعوا أن يعصموا أنفسهم من هذا الاتحال الذى كانوا يصطرون إليه اضطرا ليسكوا خصومهم من الشعوبية . فلس من اليسر أن نصدق أن كل ما يرويه الحافظ من الأشعار والأخبار حول العصاة والمحصرة وبصيفه إلى الحاديين صحيح . ونحن علم حق العلم أن الخصومة بين ننتد بين الفرق والأحزاب فإيسر وساقطها الكذب . كانت الشعوبية تنحل من اشعر ما فيه عيب للعرب وعص مهم . وكان خصوم الشعوبية ينتحلون من اشعر ما فيه دود عن العرب ورفع لأقدارهم .

وبوع آخر من الاتحال دعت إليه الشعوبية ، تعدد سوع خاص في كتاب الحيوان للحافظ وما يشبهه من كتب العلم التى يحومها أصحابها نحو الأدب . ذلك أن الخصومة بين العرب والعجم دعت العرب وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربى القديم لا يحلو أو لا يكاد يحلو من شئ ، تستعمل عليه العلوم المحدثه . نادا عرسوا شئ ، مدى هذه العلوم الأحدثية فلا بد من أن يشتوا أن العرب قد عرفت أو ألموا به أو كادوا يعرفونه ويأمنون به .

ومن هنا لا تكاد تجد شيئا من هذه الأنواع الحيوانية التى عرس لها الحافظ في كتاب الحيوان إلا وقد قالت العرب فيه شيئا قليلا أو كثيرا



طويلا أو قصيرا، وصحا أو عصا، يجب أن يكون للعرب قول في كل شيء وسابقة في كل شيء، هم مضطرون أن ذلك اضطارا لينبتوا فصهم على هذه الأثم المعلومة. واضطراهم يشتد ويزداد شدة بمقدار ما ينقدون من سلطان سياسي، ومقدار ما ترفع هذه الأثم المعلومة رؤوسها.

وإن استطع أن أمضي في تفصيل هذه الآثار شائعة التي تركتها الشعوبية في الأدب العربي وفي الأفعال وسوء الحظ، ولكني لم أكتب هذا الكتاب إلا لأتم المساء بكل هذه الأسباب التي تعمل على شك في قيمته، يضاف إلى مداهنين من الشعر، وأحسبني قد ألمحت بالشعوبية وتأثيرها في ذلك المبدأ كافيا.

## الرواة والنحال الشعر

هذا فرعاً من هذه لأسباب العامة التي كانت تحمل على الأنحول والى متصل ظروف الحياة السياسية والدينية وخصية المسلمين من صرع من كل شيء ، بل نحن مضطرون الى أن نقف وفقات قصيرة عدد طائفة أخرى من الأسباب ، ليست من عموم ولا طراد تجربة الأسباب المتقدمة . ولكنها ليست أقل منها تأثيراً في حياة الأدب العربي القديم ، وحث على تحميل اهاهليين مالم يقولوا من لشعر والنثر . أريد بها هذه الأسباب التي سصل أشخاص أو تلك امدس نقلوا أيضاً أدب العرب ودقوبه . وهؤلاء الأشخاص هم الرواة . وهم بين اثنين . إما أن يكونوا من العرب . فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب . وما أن يكونوا من المولى ، فهم متأثرون بما كان يتأثر به المولى من تلك الأسباب العامة . وهم على تأثيرهم هذه الأسباب العامة متأثرون بأشياء أخرى هي التي أريد أن أقف عندها وقفت قصيرة كما قلت .

ولعل أهم هذه المؤثرات التي عشت للأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عطياً . محور الرواة وإسراهم في اللهو والعت

وانصرفهم عن أصول الدين وقواعد لأخلاق الى ما نأباه الدين ونسكوه  
الأخلاق .

ولعل لا أحسن من هذا الذى كتبه مفصلا في الجزء الأول من  
«حديث الأثر» الى أن أطلب في وصف ما كان فيه هؤلاء من  
من اللهو والهموم . ولست أدكرها إلا اثنين دكرتهما فقد ذكرت  
الرواية كلها والرواة جميعا : فأما أحدهما فحماد الراوية . وأما الآخر  
فخلف الأحمر .

كان حماد لراوية رعيم أهل سكونة في الرواية والحفظ .  
وكان خلف الأحمر رعيم أهل النصرة في الرواية والخط أيضا . وكان  
كلا الرجلين مسرفا على نفسه ليس له حظ من دين ولا حق ولا احتشاه  
ولا وقار . كان كلا الرجلين سكيما فاسد مستقرا ما غمر ولصق .  
وكان كلا الرجلين صاحب شك ودعابة ومجون .

فأما حماد فقد كان صديق حماد غنجد وحماد الرقاع ومطيع  
ابن عباس . وكلهم أسرف فيما لا ينق بالرجل الكريم الوقور . وأما خلف  
فكان صديقا لوالدة بن الحبيب وأستاذا لأبي نواس . وكان هؤلاء  
الناس جميعا في أمصار العراق الثلاثة مطهر الدعابة والحلاعة ، ليس  
منهم إلا من أتهم في دينه ودمى بالبدعة ، يتفق على ذلك الناس جميعا :  
لا يصغهم أحد بحبر ، ولا يزعم لهم أحد صلاحا في دين أو دنيا .

وأهل الكوفة مجمعون على أن أسأدهم في الرواية حماد، عنه أخذوا  
 ما أخذوا من شعر العرب . وأهل البصرة مجمعون على أن أسأدهم  
 في الرواية جندب . عنه أخذوا ما أخذوا من شعر العرب أيضا .  
 وأهل الكوفة والبصرة مجمعون على ترجيح الرجلين في ذهابهما وحلقهما  
 ومروءتهما . وهم مجمعون على أنهما لم يكونا يحذفان الشعر ويحذفانه  
 روايته ليس عمر ، وإنما كان شاعرين مجتهدين يصلان من التقيد  
 والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يغير بين ما يرويان  
 وما يشعلاق .

فأما حماد فيحدثنا عنه رواية من حميد رواية الكوفة هو المفصل  
 الصبي أنه قد أفسد الشعر إفسادا لا يصلح بعده ثبأه ، فأما سئل عن  
 سبب ذلك ألحن أم حقا ؟ قال : إنه كان كذلك ، فإن أهل العلم  
 يردون من أخطأ في الصواب ، ولكنه رجل عالم بلسان العرب  
 وأشعارها ومذهب الشعر ، ومعاييرهم . فلا يزال يقول الشعر يشبه به  
 مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط  
 أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم نافذ ، وأين ذلك ؟

ويحدثنا محمد بن سلام أنه دخل على بلال بن أبي رزدة بن أبي موسى  
 الأشعري ، فقال له بلال : ما أطرفني شيئا ، هذا عليه حماد فأشده  
 مصيدة للحطيفة في مدح أبي موسى ، قال بلال : ويحك يمدح الحطيفة  
 أ ، موسى ولا أعرف ذلك ، وأنا أروى شعر الحطيفة ، ولكن دعها

تذهب في الساس ، وقد تركها حماد فذهبت في الساس وهي في ديوان  
الخطيئة . ولرواه أنفسهم يخلطون ، فهم من يزعم أن الخطيئة قاط حقا .  
وكان يونس بن حبيب يقول : المعجب لمن يروي عن حماد ،  
كان يكسر ويأخذ و يكذب . وثبت كذب حماد في الرواية لاهدي ،  
وأمر حاحه فاعان في الساس أنه يضل رواية حماد .

وفي الحق أن حماد كان يسرف في الرواية وانتكث منها . وأحاراه  
في ذلك لا يكاد يصدقها أحد ، فلم يكن يسأل عن شيء إلا عرفه .  
وقد رعم الوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروي على كل حرف من حروف  
المعجم مائة قصيدة لمن لم يعرفهم من الشعراء . قالوا وأمرجه الوليد  
حتى صحر فوكل به من أمم امتد به ثم أحاراه .

وأما حلف فكلام الساس في كذبه كثير . وأبن سلام ينشأ بأنه كان  
أفرض الناس بيت شعر . ويحدثون أنه وضع لأهل الكوفة ما شاء الله  
أن يصع لهم ، ثم نكس في آراءهم فأبأ أهل الكوفة بما كان قد  
وضع لهم من الشعر ، فأبوا تصديقه . واثبتوا له ما وضع  
غير قصيدته . ويرغمون أنه وضع لأمة العرب على الشترى ، ولأمة  
أخرى على تأخذ شر رويت في الحماسة .

وحناك رواية كوفي لم يمكن أقل خطأ من صاحبه هذين  
في الكذب والافتحال . كان يجمع شعر الفرائد حتى إذا جمع شعر قبلة  
كتب مصحفاً بخطه ووضعه في مسجد الكوفة . ويقول حصومه :

إنه كان نعمة لولا سراقته في شرب الخمر، وهو أبو عمرو الشيباني .  
ويقولون : إنه جمع شعر سبعين قبيلة .

وأكبر لعل أنه كان يأحر نفسه للفنائل يجمع لكل واحدة منها  
شعرا يصفيه إلى شعرائها . وليس هذا عربيا في تاريخ الأدب ، فقد  
كان مثله كثيرا في تاريخ الأدب اليوناني والروماني .

وإذا فسدت مروءة الرواة كما فسدت مروءة حماد وحديث  
وأبي عمرو الشيباني ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على كذب  
والافتحال ككسب المال ولتقرب إلى الأشراف والأمرء والظهور  
على الخصوم والمماسين وبكافة العرب . - يقول : إذا فسدت مروءة  
هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف ، كان من الحق عيب  
ألا نقس مطمئين ما يقولون إليه من شعر القدماء .

والمعجب أن رواه لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بهسق ولا بخون  
ولا شعوبية قد كذبوا ، أيضا ، وتقولوا . فأبو عمرو من الأعلى يعرف بأنه  
وصح على الأعشى بيتا .

وأكثرى وما كان الذي يكرت من أحوادث إلا الشيبان واصلعا  
ويعترف الأصمعي بشيء يشبه ذلك .

ويقول اللاحق إن سبويه سأله عن إعمال العرب "فعلًا" ،  
فوضع له هذا البيت :

حَذِرْ أُمُورًا لَا تَصِيرُ وَأَمِنْ   ما ليس يحبه من الأقدار  
ومثل هذا كثير .

وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شئت في أنهم كانوا يتحدون  
 الاتحال في الشعر وسعة وسيلة من وسائل الكسب . وكانوا يفعلون  
 ذلك في شيء من السحرية والعتة ، يريدون هؤلاء الأعراب الذين  
 كان يتحلل إليهم في لادية رواء الأمصار يسألونهم عن الشعر والعريب .  
 فليس من شئت عند من يعرف أحلاق الأعراب في أن هؤلاء  
 الناس حين رأوا إخراج أحد الأمصار عليهم في طلب لشعر والعريب  
 وعديتهم بما كانوا يلتقون إليهم منهم ، قدروا بصاعتهم وأمتكروا منها .  
 ثم لم يلبثوا أن أحسوا زديد حرص الأمصار على هذه الصناعة ، فخذوا  
 في تحارثهم وأبوا أن يطمعوا في مدنتهم يسطرون رواء الأمصار . ولم  
 لا يتولون هم ، صدار بصاعتهم بأنفسهم " ولم لا يهبطون إلى الأمصار  
 يحملون شعر والعريب وسواد إلى الرواة فيريحونهم من الرحلة ومثاق  
 السمر وعقده ، ويحدثون الناس بينهم . ويفيدون من ذلك ما لم يكنوا  
 يفيدون حين لم يكن يفسح بصحري إليهم إلا رحل كالأصمعي  
 أو أبي عمرو بن لعلاء " وكذا فعلوا انحدروا إلى الأمصار في امرأ  
 حاصة وكثر أزدحام الرواة حولهم ففقت بصاعتهم ، وأنت تعلم أن  
 نفاق الصناعة أدعى إلى الإلتحاح ، فأحد هؤلاء الأعراب يكذبون  
 وأسرفوا في المكذب ، حتى أحس الرواة أنهم ذلك ، فالأصمعي يتحدث  
 عن أحد هؤلاء الأعراب ، وأسمه أبو صمغ ، أنه أشد ، شاعر  
 أو شاعرين شاعرا كلهم يسمى عمرا ، قال الأصمعي . فعددت أنا وحلف  
 الآخر فلم تقدر على ثلاثين .

وبحسب ما آمن سلام عن أنى عبيدة أن داود بن مقيم بن بورة ورد  
المنيرة فيما يقدم له لأعراب ، فأحد أبو عبيدة يسأله عن شعر أبيه  
وكيف أحاط به ، فلما فرغ داود من رواية شعر أبيه وكذا شق طبع عناية  
أنى عبيده به أحد يصح عن أبيه ما لم يقل ، وعرف ذلك أبو عبيده .

وهذا أسبق قد نعلم ، كما تريد من إحصاء الأسبب الخفية أنى  
جئت على أن تحل شعره وإبائه أنى إلهيين ، وإلى تصطيرنا نحن  
في هذا لعصر أنى أن عرف موقوف أشك وإحباط أمد هذا الشعر .

كل شيء في هذه المسمي في التبرون الثلاثة الأولى كان يدعو  
أنى أن تحل الشعر وتقدم به سواء في ذلك حياة الصالحة حرة الأقباء  
والبررة ، والحياة السيئة حرة الفسق وأصحاب المحون ، فإذا كان الأمر  
على هذا الحرف هل على أن من الحرم والمطية أن يقل من قول القدماء  
في غير نقد ولا تحقيق "

وبعد فقدم أن هذا الكذب ولا تحل في الأدب والبرنج لم يكونا  
مقصودين على العرب ، وإنما هما حظ ضائع في الآداب بتدعة كالمها .  
غير لما أن تحتمد في معرف ما ينبغي أن يصح إبائه أنى إلهيين من  
الشعر . وسبيل ذلك أن يدرس الشعر نفسه في ألقاطه ومعانيه بعد أن  
درسنا ما يحيط به من الظروف ،



## الكتاب الثالث

### الشعر والشعراء

١

#### قصص وتاريخ

بطل أن أنصار القديم لا يطعمون ما في أن يعيرهم حقائق الأشياء  
أو أن نسعى هذه الحقائق يعير أمتائنا، لسع رصاهم وتحت سخطهم،  
ومهما يكن حرصا على أن يرصوا ومهما يكن شديدي الكره لحصصهم  
فمن على رص الحق حرص، ولأمت الحق والعلم أشد كرها .

ولن نستطيع أن نسمى حقا ما ليس بالحق، وتاريخنا ليس  
بالتاريخ . ولن نستطيع أن نعترف بأن ما يروى من سيرة هؤلاء الشعراء  
الحاهلين وما يضاف إليهم من الشعر تاريخ يمكن الاطمئنان إليه  
أو الثقة به . وإنما كثرة هذا كله قصص وأساطير لا تعيد يقينا ولا  
ترجيحا، وإنما نعت في القوس طوبى وأوهاما . وسبيل الباحث  
المحقق أن يستعرضها في عناية وأناة وبرءة من الأهواء والأعرص،  
فيدرسها محلا نافدا مستقصيا في النقد والتحليل . فإن انتهى من درسه  
هذا إلى حق أو شيء يشبه الحق أثبتته محتفظا بكل ما يسعى أن يحتفظ

به من الشك ابدى قد يحمله على أن يعبر رأيه ويستأنف بحسنه وبطوره  
من جديد .

ذلك أن أحبار ذهبيين وأشعرهم لم تصل اليه من طريق تاريخية  
صحيفة ، وإنما وصلت اليه من هذه الطريق التي تصل بها القصص  
والأساطير : طريق الرواية والأحاديث ، طريق الحكاية واللعب ،  
طريق التكلف والافتعال . ونحن مضطرون أمام هذا كله إلى أن  
نحفظ نحرنا بكامله ، وإلى أن نقوم بمهمة واحدة ، ونصنع التي هي  
مستعده للتصديق والاطمئنان في سمولة وسمر ، ونحن لا نعرف هذا  
عرب وصل اليه من طريق تاريخية صحيفة نكس أن طمس اليها قبل  
القرن ، لا طائفة من الدموش لا شئت في الأدب حتى ولا نرى منه  
أظلا . رهي أن أودت في تاريخ اسمه وذلك كل ما يمكن أن يؤخذ  
منها إلى الآن .

نمران وحده هو النص العربي القديم الذي يستصعب المؤرخ أن  
يضمن أي صحفه وسعره مشحوا للعصر الذي تلى ٤٥٠ ، وأن شعر  
هؤلاء الشعراء وحطبه هؤلاء الحضاة وسجع هؤلاء ساجدين فلا سبيل  
في الثقة بها ولا إلى الاطمئنان اليه ، ولا سيما بعد ما سطنا لك في الكتاب  
لأول من الأسماء التي تدعو إلى الشك في صحتها ، وبعد ما سطنا لك  
في كتاب الثاني من الأسماء التي كانت تحمل الدس على التكلف  
والافتعال .

وإذا فحسب أن يكون لمؤرخ الآداب العربية موقفاً محتفاناً :  
أحدهم أمام الأساطير والأفصيص والأسماء التي تروى عن العصر  
الجاهلي ، والثاني أمام المصوّر التاريخيّة الصحيحة التي لدى المقرّآن .  
وقد سالت في الكتاب المساحي أن هذا ليس شأن الآداب العربيّة  
وحدّها ، وإنّما هو شأن الآداب القديمة كلّها ، وصرّحت لك الأمثال بالآداب  
اليونانيّة والآداب العربيّة . ولولا أنّي أحرص على ألاّ يتعذر لغيري  
أمثالاً أخرى لطائفه من الآداب الحديثة ، ولكل أدب قسمه  
الصحيح وقسمه المشكوك ، ولكل أمة تاريخها الصحيح وتاريخها  
المستعمل . وليس بدري أن يريد أنصار القديم أن يبرروا الأمانة العربيّة  
والآداب العربيّة من سائر الأمم والآداب . ومن لدى يستطيع أن يرجع  
أن الله قد وضع القلوب على ما هي عليه ، فصعّب على الإنسان كلّها ، لا هذا الخيل  
الذي كان يسب في نديان وبحر كلاً ، الحسل يجرى كغيره  
من الأحبال حصص هذه هوايين العامة التي تسيطر على حده الأفراد  
والجماعات .

للعرب حياتهم الشعبيّة . وهذا الحال قد حثّ وعمل وأنتم . وكانت  
نتيجة حثّه وعمله ، ثمّ هذه الأفاصيص والأساطير التي تروى لآخر  
العصر الجاهليّ وحده بل عن مصوّر الإسلاميّة التاريخيّة أيضاً .  
وقد رأيت في فصول ، التي سميتها "حديث الأرباء" ، أنا نشك في طائفة  
من هذه القصص العرابة التي تروى عن العدريين وغيرهم من العشاق  
في العصر الأموي . ويحب حفا أن يلقي عقوباً - كما نقول بعض

الزعماء السياسيين — لزوم أن كل ما يروى لنا عن الشعراء والكتاب  
والخلفاء والقواد والورداء صحيح، لأنه ورد في كتب الأغاني أو في كتاب  
الطبرى أو في كتاب بدر بن أو في سفر من أسفار الخياط . ثم يجب  
أن يلقى عقوباً وأن يسمى وجوده الشخصي وأن يستجيب إلى كتب  
متحركة . هذا يحفظ الكامل لا يهدوه فيصبح نسخة من كتاب الكامل  
تمشي على رحل وتنطق بلداً ، وهذا يحفظ كتاب البيان والبيان  
فيصبح نسخة منه ؛ وهذا يحفظ أحلاماً من هذه الكتب فيصبح  
مراحاً عربياً يتكلم مرة بلسان الخياط وأخرى بلسان المبرد وثالثة  
بلسان ثعلب ورابعة بلسان أبي سلام .

لأنصار القديم أن يرضوا أنفسهم بهد البحو من أحماء الحياة  
العالمية . أما نحن فدأى كل الإساء أن تكون أدوات حكمة أو كتمان  
متحركة ، ولا رضى إلا أن تكون لنا عقول نفهم بها ونستعين بها على  
النقد والتحجيص في غير تحكم ولا طبع . وهذه العقول نصطربها ،  
كما اضطرت غيرها من قبل ، إلى أن سطر إلى المضاء كما سطر إلى  
المحدثين دون أن يسمي اضطروف التي تحيط بأولئك وهؤلاء . وأنا  
لا أقصد أحداً من الذين يعاصرونى ولا أرى من الكذب ولا التحويل  
ولا أعصمه من الخطأ والاضطراب . فدا تحدث إلى شيء أو نقل إلى  
عه شيء ، فأنا لا أقبل حتى أنقد وأتميز ، وأحال وأدقق في التحليل .  
وما أعرف أن أحداً من أنصار القديم أعصمه يقدس المعاصرين

و يطمئن اليهم من غير نقد ولا تبصر . وآية ذلك أنهم يحبون حياتهم اليومية كما يحباها أنصار الحديد ، فهم يبيعون ويشتررون ويذرون كما يبيع غيرهم وكما يشترى وكما يذرون ، وهم يدرون أمورهم الخاصة كما يدريها سائر الناس في مقدار من الدكا ، والمطعة والحذر . فما لهم بيطمعون بمدكاتهم الباقدة ، القيس الى المعاصرين ولا بيطمعونها بالقياس الى القدماء ، وما لهم دكاو يحبون التصديق ولا طمئنان الى هذا أخذ لا يصدقون البائع حين يرغمهم أن سعته تساوى عشرين ، بل يعرضون عليه عشرة وأقل من عشرة ويسامون حتى يتنوها الى ما يريدون ، وأولهم صنفوا المحدثين واطمأنوا اليهم كما يصدقون القدماء ويطمئنون بهم لكأو مضرب الأمثال في العقيدة واسله والحق ، ولكانت حياتهم كد وصكا وعناء . وكأ محمد لهم الله ، فهم يلقون الى معاصريهم ، أصحاح بصر الأمور ووظيفة بدقثها وحيله واسعه للتخلص من المأزق . وهم يشتررون الخمر كما يشربون ويسدلون في الخبز والسمن مثل ما نبذل .

وأذا فما مصدر هذه التفرقة التي بيطمعونها بين القدماء والمحدثين ، ما لهم يؤمرون لأوامك ويشكرون في هؤلاء ؟

ليس لهذه التفرقة مصدر ، لا هذه العكرة التي تسيطر على نفوس العامة في جميع الأمم وفي جميع العصور ، وهي أنب القديم خير من الحديد ، وأن الزمان صائر الى شر لا الى الخير ، وأن الدهر يسير بالناس انهقري . يرجع هم الى وراء ولا يمضي بهم الى أمام

رغموا أن الفمحة كانت في العصور الذهبية تعدل النعمة العظيمة  
حججا ، ثم عصب الله على الناس فأحدثت الفمحة لتصلحت حتى وصلت  
إلى حيث هي الآن .

وزعموا أن الرجل من الأحيال القديمة كان من الطول والصلامة  
والقوة بحيث كان يمس يده في البحر فيأخذ منه السمك ثم يرفع يده  
في الحلق فيشويه في حدود الشمس ثم يسط بيده إلى فيه ويردود سواء  
ازدادا .

ورغموا أن أهل الأحوال القديمة كانوا من الصحامة والحصامة  
بحيث استطاع بعض الملوك ، أو بعض الأنبياء ، أن يتخذ أحداهم  
جسرا يعبر عليه الفرات .

والقديم خير من الجديد ، والقدماء خير من المحدثين . يؤمن العامة  
بهذه الآية ، لا سدل إلى رعرعته ، وهذا لايمان يتفقون ويؤمنون ، ولكن  
أصله ثابت ، فأصحاب الحصار والمدينة الذين أخذوا من العلم محمد  
لا يؤمنون مثل هذه الأحاديث التي قدمتها لك ، ولكنهم يرون أن  
الأخلاق مثلا كانت أشد استيفادها في العصور الأولى ، وأن الأئمة  
كانت أشد دكاء ، وأن الأئمة كانت أعظم خطا من الصحة . وعلى  
هذا النحو يكون تفصيل القديم ، لأنه قديم لا راء من جهة ، ولأنها  
ساحطون يصنعنا على الحاضر من جهة أخرى .

فهو نظر أن الذين ينتمون لمخلف وحناد والأصمعي وأبي عمرو  
أنهم يعلمون أنهم شيء ، غير ما قدمت لك ، كلا ، كان هؤلاء الناس

أحسن من المعاصرين أخلاق وأقل منهم ميلا إلى الكذب، كانوا أدرك  
منهم أصدقاء، كانوا أقوى منهم حافظة، كانوا أثبت منهم نصائر.  
لماذا؟ لأنهم قدماء. لأنهم كانوا يعيشون في هذا العصر الذهبي، ليس  
العصر الحامى عصر ذهبي، نحياس أن هذا العصر الذى يعيش فيه \*

أما نحن فلا نعلم أن القدماء كانوا شرا من المحدثين، ولكن لا نعلم  
أنهم كانوا خيرا منهم. وإنما أولئك وهؤلاء سواء، لا تفرق بينهم  
ولا ظروف الحيد التى تصور صانعهم صوراً ملائمة لها دون أن تغير  
هذه الطبيعة. كان قدماء يكتبون كما يكتب المحدثون، وكان القدماء،  
يحصون كما يحصى المحدثون، وكان خط القدماء من الخط أعظم من  
خط المحدثين، لأن العقل لم يسمع من الرق فى تلك المصور مالمع فى هذا  
العصر ولم نستكشف من مباح البحث والعد ما نستكشف فى هذا  
العصر. فإذا أحدهم نسا ناس شرف أمام القدماء موقف الشرف  
والاحتياط فليس عاد ولا مسرفين، وإنما نحن نؤذى العقولنا حقها  
ونؤذى للعلم ماله عليها من دين. وإذا كان يطلب أن أصدر القديم  
شيئا فهو أن يكونوا منطقيين، وأن يلائموا بين حياتهم حين يقرءون  
ويكتبون وحياتهم حين يبيعون ويشتررون.

وإذا قلنا ناول مع الإبحار الشديد شيئا من البحث عن الشعر  
ولشعراء فى العصر الجاهلى لئلا نرى إلى أى شيء نستطيع أن نطمئن من  
هذه الأشعار والأخبار التى امتلأت بها الكتب والأسفار.

## أمرؤ القيس - عبيد - عنتمة

لعل أقدم الشعراء الذين يروى لهم شعر كثير ويتحدث الرواة عنهم بأحجار كثيرة فيها تطور بل وتفصيل هو أمرؤ القيس .

ونحن نعلم أن الرواة يتحدثون بأسماء طائفة من الشعراء زعموا أنهم عاشوا قبل امرئ القيس وقادوا شعراء ولكمهم لا يروون هؤلاء الشعراء إلا البيت أو البيتين أو الأبيات ، وهم لا يدركون من أحجار هؤلاء الشعراء إلا شيء القليل انتهى لا يعنى . وهم يعاينون قلة لأحجار والأشعار التي يمكن أن تصاف أن هؤلاء الشعراء سعد المعهود وتقدم الزمن وقلة الخداع . وقد رأيت في الكتاب المسمى أن عبيدا من الغد لما تصاف أن هؤلاء الشعراء ينتهي لك في محمود ما يصاف لهم من حمر أو شعر . فبدأ هؤلاء الشعراء وانقطع عند امرئ القيس وأصحاه الذين يظهر أن الرواة عرفوا عنهم ورؤواهم شيء الكثير .

من أمرؤ القيس " أما الرواة فلا يصفون في أنه رجل من كعدة . ولكن من كعدة " لا يصف الرواة في أنها قبيلة من حيطان ، وهم يتلقون بعض الاختلاف في نسبها وفي تفسير اسمها وفي أحجار مادتها ، ولكمهم على كل حال يتفقون على أنها قبيلة غامية ، وعلى أن أمرؤ القيس منها .



فأما اسم امرئ القيس واسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من البسير  
الاتفاق عليها بين رواة ، فقد كان اسمه امرأ القيس ، وقد كان اسمه  
حدحا ، وقد كان اسمه قيسا . وقد كان اسم أبيه عمرا ، وقد كان اسم  
أبيه شجرا أيضا . وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل  
وكليب ، وكان اسم أمه تملك . وكان امرؤ القيس يعرف بأبي وهب ،  
وكان يعرف بأبي الحارث . ولم يكن له ولد ذكر . وكان يندب سائمه  
جميعا . وكانت له أسف يقال لها دمد ، ولم تكن هند هذه ابنته وإنما  
كانت بنت أبيه . وكان يعرف بالملك الحلال ، وكان يعرف بندي  
القروح .

وعبثت أمت أن تستخلص من هذا الخلط لمصطرب ما نستطيع  
أن نسميه حقا أو شبهنا يشبه الحق . وأى شيء أيسر من أن تأخذ  
، انتفتت عليه كثرة الرود على أنه حق لا شك فيه \* وكثرة الرواة  
قد شفت على أن اسمه حدح بن حجر ، وألقبه امرؤ القيس ، وكنيته  
أبو وهب ، وأمه فاطمة بنت ربيعة ، على هذا نفقت كثرة الرواة .  
وإذا انفتت الأكثر على شيء ، فيجب أن يكون صحيحا أو على أقل تقدير  
يجب أن يكون راجحا .

أما أنا فقد أطمعت إلى آراء لكثرة ، أو قد أرى ، كرهنا على الإطعنان  
لآراء الكثرة ، في المجالس البيانية وما يشبهها . ولكن الأكثرية في العلم  
لا تعنى شيئا ، فقد كانت كثرة العلماء تذكر كروية الأرض وحركتها ،

وطهر بعد ذلك أن الكثرة كانت محطنة . وكانت كثرة العلماء ترى كل ما أثبت العلم الحديث أنه غير صحيح . فالكثرة في العلم لا تعنى شيئا . وإذا فليس من سبيل إلى أن تقل قول الكثرة في أمرئ القيس ، وإنما السبيل أن نوارد بينه وبين ما نزع الفلة . وليس إلى هذه المواردة للمتتعة من سبيل إذا لاحظت ما قدمناه في الكتاب الماضي من هذه الأسباب التي كانت تحمل على الاتحال وتكلف القصص .

وإذا قلنا نستطيع أن نعزل من القريتين المحققين ، وإنما نحن مصطرون إلى أن نفس ما يقول أولئك وهؤلاء على أن الناس كانوا يتحدثون به دون أن يعرف وجه الحق فيه . وإدراك هذا وأسمه من الخلط في حياة أمرئ القيس أوضح دليل على ما ذهب إليه من أن أمرأ القيس إن يكن قد وُجد حقا — ونحن رجع ذلك ويؤكد بوجهه — فإن الناس لم يعرفوا عنه شيئا إلا اسمه هذا ، وإلا طائفة من الأساطير والأحاديث تتصل بهذا الاسم .

وهنا يحسن أن نلاحظ أن الكثرة من هذه الأساطير والأحاديث لم تشع بين الناس إلا في عصر متأخر : وفي عصر الرواة المدوين والقصصيين . فأكبر الظن إذا أنها نشأت في هذا العصر ولم تورث عن العصر الجاهلي حقا . وأكبر الظن أن الذي أنشأ هذه القصص وماها إنما هو هذا المكان الذي احتله قبيلة كندة في الحياة الإسلامية منذ تمت للبي السيطرة على البلاد العربية إلى أواخر القرن الأول للهجرة .

فمخض علم أنت وهذا من كعدة وفد على النبي وعلى رأسه الأشعث  
 ابن قيس . ونحن علم أن هذا الوفد طلب - فيما تقول السيرة -  
 الى النبي أن يرسل معهم مفعها يعلمهم الدين . نحن نعلم أن كعدة  
 ارتدت بعد موت النبي ، وأن عامل أبي بكر حاصرها في الجيـر وأزها  
 على حكمه وقتل منها خلقا كثيرا وأودعها طائفة الى أبي بكر فيها الأشعث  
 ابن قيس الذي تاب وأتاب وأصهر الى أبي بكر ففرّج أحتنه أم وروة ،  
 وحرّج - فيما يرعى الرواة - الى سوق الإبل في المدينة فاستل سبعة  
 ومضى في إبل اسوق عفرا وعفرا حتى طس الناس به الجحون ، ولكنه  
 دنا أهل المدينة الى الطعام وأدى الى أصحاب الإبل أمواهم ، وكانت  
 هذه المحررة الفاحشة وليمة عرسه . ونحن نعلم أن هذا الرجل قد اشترك  
 في فتح الشام وشهد . واقع المسلمين في حرب الفرس ، وحس بلاؤه  
 في هذا كله ، وتولى عملا لعين ، وطاهر عليا على معاوية ، وأكره عليا  
 على قبول التحكيم في صفين . ونحن نعلم أن ابنه محمد بن الأشعث كان  
 سبدا من سادات الكوفة . عليه وحده أعتمد ريادة حين أعياه أحد  
 محموس عدى لكندى . ونحن نعلم أن قصة محموس عدى هذا وقتل  
 معاوية إياه في نهر من أصحابه قد تركت في هوس المسلمين عامة واليميين  
 خاصة أثرا قويا عميقا مثل هذا الرجل في صورة الشهيد . ثم نحن نعلم  
 أن حميد الأشعث بن قيس وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد  
 ثار بالفتح ، وحمل عبد الملك ، وعرض دولة آل مروان للزوال ، وكان  
 سببا في إراقة دماء المسلمين من أهل العراق والشام ، وكان الذين قتلوا

في حروبه يمحسون ويلعبون عشرات الآلاف ، ثم انهرم فاجأ الى ملك  
 الترت ، ثم أعاد الكرد تتم في مدن فارس ، ثم آتيا من معاد الى ملك  
 انترك ، ثم عذر به هذا الملك فأسلمه الى عامل الجحجج ، ثم قتل نفسه  
 في طريقه الى اهرق ، ثم أخذ رأسه وحذوف به في العراق والشام ومصر .  
 فتعلم أن أسره كهذه الأنيرة لكمدية تعلم هذه المبرلة في الجباد  
 الإسلامية وتؤثر هذه الآثار في تاريخ المسلمين لا يصطع القصص  
 ولا تاجر القصص لشروا لها الدعود ويدعوا منها كل ، من شأنه  
 أن يرفع ذكرها ، ويعبد صونها " بلى ! ويحدثنا الرواة أنفسهم أن  
 عبد الرحمن بن الأشعث اتخذ القصص وأحرقهم كما اتخذ الشعراء  
 وأحرل صلتهم كان له ناص يقبل له عمرو بن دز ، وكان شاعره  
 أعشى قمدان .

ف يروي من أحوار كعدة في اذهابية منائر من غير شك  
 بعمل هؤلاء القصص الذين كانوا يعملون لآل الأشعث . وقصة  
 أمرئ القيس سوع حاص تشبه من وحوه كثيرة حياة عبد الرحمن  
 بن الأشعث . وهي تمثل لنا أمراً القيس مطالبا بشار أسد . وهل ثار  
 عبد الرحمن عبد الدين بفتحون التاريخ إلا مشقها لخير بن عدي " وهي  
 تمثل له أمرئ القيس طامعا في الملك . وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث  
 يرى أنه ليس أقل من بني أمية استتم الا لذلك ، وكان يطالب به . وهي  
 يمثل لنا أمراً القيس متفلا في قبائل العرب . وقد كان عبد الرحمن  
 بن الأشعث متفلا في مدن فارس والعراق . وهي تمثل أمراً القيس

لاحقاً اني قيصر مستعينا به . وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث لاجئاً الى ملك الترك مستعينا به . وهي تمثل لنا أحبراً ممر القيس وقد عذر به قيصر بعد أن كاد له أسدى في العصر . وقد عذر ملك ترك عبد الرحمن بعد أن كاد له رسل مجاح . وهي تمثل لنا بعد هذا ودالك ممر القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم . وقد مات عبد الرحمن في صريعه عائداً من بلاد الترك .

ليس من اليسير أن يقتصر بل أن نرجح أن حياة ممر القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن أستحدثه المصاحص إرضاء هوى الشعوب الخمية في العراق واستعاروا له اسم الملك الصليل لقاء لعمال بني أمية من ناحية ، و مستعلاً لأطائمة يسيرة من الأحبار كانت تعرف عن هذا الملك الصليل من ناحية أخرى ؟



سنقول وشعر ممر القيس ما شأنه " وما تأويله " شأنه يسير ، وتأويله أيسر . فأقل نظري هذا الشعر مرمز أن تقسمه الى قسمين . أحدهما يصل هذه القصة التي قدمنا الإشارة اليها . وإدراك شأنه شأن هذه القصة التحل لتفسيرها أو تسجيدها ، والتحل لتمثيل هذا النافس الهوى الذي كان قائماً بين قبائل العرب وأحيائهم في الكوفة ولصرة . وأقل درس هذا الشعر يبعك ، إن كنت من الذين بالهوى انبحث الحديث ، بأن هذا شعر الذي يصف اني ممر القيس

ويتصل بفصله إنما هو شعر إسلامي لا جاهلي ، قيل وانتم لم تده  
الأسباب التي أشربها اليها ولأسباب أخرى فصلها في القسم الثاني من  
هذا الكتاب . فهذا أحد القسمين . وهذا القسم الثاني فشعر لا يتصل  
بهذه الفصلة ، وإنما يتناول موقفا من القول مستقلة من الأهواء السياسية  
والحرية . ولد في هذا القسم رأى نسطوره بعد حين .

وحلاصة هذا البحث النصير أن شخصية أمريئ القيس — إذا  
وكرت — أشبه شيء بشخصة الشاعر اليوناني هوميروس . لا يشك  
مؤرخو الآداب اليونانية الآن في أنه قد وحدث حقا ، وأثر في الشعر  
أقصصى حقا ، وكان تأثيرها قويا باقيا ، ولكنهم لا يعرفون من أمرها  
شيئا يمكن الاطمئنان اليه ، وإنما يظنون في هذه الأحاديث التي  
تروى عنه كما يظنون إلى القصص والأساطير لا أكثر ولا أقل .  
فامرؤ القيس هو الملك الضليل حقا . يريد أنه الملك الذي لا يعرف  
عنه شيء يمكن الاطمئنان اليه . هو ضل من قل كما يقول أصحاب  
المعاجم اللغوية . ومن غريب الأمر أن طائفة من الشعر نسب  
إلى أمريئ القيس على أنه قالها حينما كان متعملا في الفائل العربية  
يمدح بها هذه ويعجو تلك . وتتصل بهذه الأشعار طائفة من الأبحار  
تين نزول أمريئ القيس في هذه القبيلة ، وانجاءه إلى تلك القبيلة ،  
وحواره عند فلان ، واستعدته ههنا ، وأن شيئا من مثل هذا لاحظ  
في حياة هوميروس ، فهو — فيما يزعم رواة اليونان — قد تنقل في المدن  
اليونانية فلقى من بعضها الكرامة والتحلة ، ومن بعضها الإعراض

والانصراف . ومؤرخو الآداب اليونانية يصرون هذه الأحاديث على أنها مظهر من مظاهر التنافس بين المدن اليونانية : كلها يزعم لنفسه أنه صيغ هوميروس أو نشأ أو أحاره أو عطف عليه .

ومن يذهب هذا المذهب معه في تفسير هذه الإخبار والأشعار التي تمس تغل أمرئ القيس في فئال العرب . فهي محدثة انحلت حين تفتت لفئال العرسة في الإسلام وحين أرادت كل قبيلة وكل حي أن ترسم لنفسها من الشرف والفصل أعظم حظ ممكن . وقد أحسن القدماء بعض هذا ، فصاحب الأعاني يحدث أن القصيدة النونية التي تصاف إلى أمرئ القيس على أنه قاض يمدح بها السموعل حين لحا إليه مسجولة عن دارم بن عقيل وهو من ولد السموعل . وأكبر طائفة أن دارم بن عقيل لم يحل القصيدة وحدها وإنما حل القصيدة كلها وانحل ما يتصل بها أيضا . حل قصة ابن السموعل الذي قتل بمنظر من أبيه حين أتى تسليما لأسلحة أمرئ القيس ، حل قصة الأعني الذي امتحار شريح بن السموعل وقال فيه هذا الشعر المشهور :

شريح لا تتركني بعد ما عنت	حنالك اليوم بعد هذا أطفاري
قد حلت ما بيننا أي عدي	وطال في المعجم ترددادي وتياري
فكان أكرمهم عهدا وأوثقهم	مجدا أولك بعرف غير إنكار
كالعيث ما استقره حاد والله	وفي الشائد كالمأسد الصاري
كن كالسموعل اد طاف المهام به	في حمل كهزيع الليل حرار

ادساره حَقَّقِيْ حَسْبَ فَقَالَ لَهُ      قَتَلَ مَا تَشَاءُ فِيْ سَبْعِ حَارِ  
فَقَالَ عَدُوٌّ وَنُكْلٌ أَنتَ بَيْنَهُمَا      فَحَتَرُ وَمَا فِيْهِمَا حَطٌّ لِّمُخْتَارِ  
فَشَطَّ عَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ      أَقْتُلِ أَسْبَرَكَ إِنْ مَانَعَ حَارِي  
أَنَّهُ لَهُ حَلْفٌ إِنْ كَسَتْ قَاعَهُ      وَإِنْ قَتَلْتَ صَكْرِيَّ عَرَّ عَوَارِ  
وَسَوْفَ يُعْصِيهِ إِنْ طَفَرْتَهُ      رَبُّ كَرِيمٍ وَيَصْنُ دَنَتْ أَطْهَارِ  
لَا يَسْرَهُنَّ لَيْسَ ذَاهِبٌ هَدْرًا      وَحَافِصَاتٌ ذَا اسْتَوْدَعْنِ أَسْرَارِ  
فَاحْتَرَّ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يَسْتَبْ      وَنَبْ يَكُنْ وَعَدُهُ فَمِ بِمُخْتَارِ

ثم كانت هذه القصيدة منسجلة سدا في نحل قصيدة أخرى هي قصة  
ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية وما يتصل بها من الأشعار .  
متحلة هذه القصيدة الرائية الطويلة التي مطلعها .

سَدَا لَيْتَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا      وَحَتَّى سَلِمَ بَطْنُ طَبِيٍّ عَرَّعَرَا

متحل هذا الشعر الذي قناه امرؤ القيس حين دخل الحمام مع  
قبصر والذي يرد هذا الكتاب عن روايته . متحل هذا الحب الذي  
يقال إن امرأ القيس أصممه لاسة قبصر . متحلة هذه لأشعار التي  
يصف ابن امرئ القيس حين أحسن السم وهو قافل من بلاد الروم .  
كل هذا متحل لأنه يفسر هذه لأحاديث التي شاعت ، لذلك  
الأسباب التي قدمناها .

وإذا لم يكن بد من التمس الأدلة القوية على اتحل هذا الشعر ،  
فقد نخب أن يعرف كيف رار امرؤ القيس بلاد الروم وخالط قبصر



حتى دخل معه الحمام وقتئذ رأى مظاهر اختصاره اليومية  
في قسطنطينية ولم يظهر بذلك أثر ما في شعره . لم يصف القصر ولم  
يذكره . لم يصف كبسه من كائنات قسطنطينية ، لم يصف هذه  
الفتاة لامرأطورية التي فيها . لم يصف رومياب ، لم يصف شيئاً ما  
يمكن أن يكون رومياً حقاً . ثم يكفى أن نقرأ هذا الشعر لتحس فيه  
الضعف والاضطراب والجهل بالطريق إلى قسطنطينية .

ومهما يكن من شيء فإن لسد حجة وحدها هي التي تعيد على أن  
تصور أن شاعراً عربياً قديماً قد « هذا الشعر الذي يصف إلى  
أمرئ القيس في رحلته في بلاد الروم وقوله منها .

وذكرنا مع أن كل هذا الشعر الذي تنص بسره أمرئ القيس  
بما هو من عمل القصاص فقد صحح أن نضع معك ورقة قصيرة  
عد هذا القسم الثاني من شعر أمرئ القيس وهو الذي لا يفسر  
سيرته ولا يتصل بها . فعمل أحق هذا الشعر بالغة قصيدتان اثنتان .

الأولى . « فها أنت من ذكرى حبيب ومرور »

والثانية . « ألا أتعلم صديقا أياها يطال الباقى »

فأما « عدا هاتين القصيدتين فاضعف وبه طاهر والاضطراب  
فيه بين والتكلف والإسفاف فيه يكادان يلبسان تأييد . وقد يكون  
لنا أن نلاحظ قبل كل شيء ملاحظة لا أدري كيف يتخلص منها  
أصناف القدم ، وهي أن أمرأ القيس - إن صححت أحاديث الرواة -

يحيى، وشعره قرشي اللعة، لا فرق بينه وبين القرآن في لفظه وإعرابه وما يتصل بذلك من قواعد الكلام . ونحن نعلم كما قدما - أن لعة اليمن محالمة كل المحالمة للعة المحار ، فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لعة أهل المحار ؟ بل في لعة قريش خاصة ؟ يقولون : نشأ امرؤ القيس في قذائل عدنان وكان أبوه ملكا على بني أسد وكانت أمه من بني ثعلب وكان مهلهل حاله ، فليس عريب أن يصطعب لعة عدنان و يعدل عن لعة اليمن . ولكننا نجعل هذا كله ولا نستطيع أن نشبه إلا من طريق هذا الشعر الذي يفسد أن امرئ القيس . ونحن نشك في هذا الشعر ونضعه بأه متحل .

وإذا نحن مذور : شئت لعة امرئ القيس التي شك فيها بشعر امرئ القيس الذي شك فيه . على أنها أمام مسألة أخرى ليست أقل من هذه المسألة تعقيدا ، ونحن لا نعلم ولا نستطيع أن نعلم الآن أكانت لعة قريش هي اللعة السائدة في بلاد العربية أيام امرئ القيس ؟ وأكبر الظن أنها لم تكن لعة العرب في ذلك الوقت ، وإنما إنما أخذت تسود في أواسط القرن السادس للمسيح وتمت لها السيادة بظهور الاسلام كما قدما .

وإذا فكيف نظم امرؤ القيس اليمني شعره في لعة القرآن مع أن هذه اللعة لم تكن سائدة في العصر الذي عاش فيه امرؤ القيس ؟ وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقا في شعر امرئ القيس لفظا أو أسلوبا

أونحوا من أحاء القول يدل على أنه يمى . فهم يكنى تمرؤ القيس  
قد تأثر سعة عدد فكيف نستطيع أن نتصور أن لقته لأولى قد  
نجبت من هذه نحوا ، ولم يظهر لها أثر ما في شعره " بل أن  
أنصار القديم سجدون كثير من المشقة والماء ليصنوا هذه المشكلة .  
ونحن أن بصيرة هذا الشعر أن أمرئ القيس مستحيلة قبل أن تحل  
هذه المشكلة .

على أن يحب أن سأل عن شيء آخر ، فامرؤ القيس أن أحب  
مهلهل وكليب ابن ربيعة — فيما يمولون . ، وأن تعلم أن قصة  
طوبله عريضة قد نسجت حول مهلهل وكليب هذين ، هي قصة  
ابن سوس وهذه الحرب التي انصلت أربعين سنة — فيما يقول  
العقباص — وأفسدت ما بين السيليين الأخوين بكر وتعلب . من  
المحب ألا يشير امرؤ القيس بحرف واحد أن مقتل حاله كليب ،  
ولا أن « لا ، حبه مهلهل ، ولا أن هذه المحن التي أصابت أحواله من  
سنة ، ولا أن هذه المآثر التي كانت لأحواله على سى بكر .

وإن فائيت وجهت فلن نجد إلا شكا : شكا في القصة ، شكا  
في اللعة ، شكا في الدس ، شكا في الرحلة ، شكا في الشعر . وهم  
يريدون بعد هذا أن يؤمن وطمش إلى كل ما يتحدث به القدماء عن  
أمرئ القيس " نعم نستطيع أن نؤمن وأن نطمش لو أن الله قد  
ررقا هذا الكسل العفلى الذي يحب إلى الناس أن يأخذوا بالقديم

تحمداً للبحث عن الحديد . ولكن الله لم يرف هذا النوع من الكسل ،  
فحين يؤثر عليه تعب الشئ ومشقة البحث .

وهذا البحث ينتهي بنا أن أكثر هذا الشعر الذي يصف  
لأمرئ القيس يس من أمرئ القيس في شيء وعك هو محمول عليه  
حلا ومحتل عليه احلاقا ، حمل بعضه العرب أنفسهم ، وحمل بعضه  
آخر الرواة الذين دؤبوا الشعر في القرن الثاني للهجرة .

ولسطر في المعنى منها ، طلب معروف قصيدة يطهر فيها تكلم  
وسعمل أكثر مما يظهران في هذه القصيدة . لا تحفل بقصة عابق  
هذه القصائد السبع أو أشهر على الكعبة أو في مدائن . فبعض أن  
أنصار القديم يحفلون بهذه القصيدة التي نشأت في عصر ما حذر  
لا يشتمها شيء في حاد العرب وعذابتهم بالآداب . ولكننا نلاحظ  
أن القدماء أنفسهم يشكون في بعض هذه القصيدة فهم يشكون  
في صحة هذين البيتين :

تري نسر الآرام في غرضها وفيها كأنه حث وأفل  
كأنى عداة البين يوم تمحلوا لدى سمرات الحلى تافف حطل  
وهم يشكون في هذه الأبيات .

وفرة أقوام حملت عصامها عن كاهل من ذئب مرخل  
وواد يحوف العير فقير قطعته به الدثب يعوى كالخيل المعبل

قلت له لما عوى بن شأنا طبل أغني إن كنت لما تمول  
كلما اذا ما نال شيك أفاته ومن يحترث حرقى وحزنك هزل

وهم بعد هذا يختلفون اختلاف كثيرا في رواية القصيدة: في العاصم  
وفي ترتيبها، ويصنعون لفظا مكان لفظ وبناء مكان بيت، وليس هذا  
الاختلاف مفسور على هذه القصيدة، وإنما تناول اشعر الجاهلي كله،  
وهو اختلاف شيع يكفى وحده غملا على الشك في قيمة هذا الشعر.  
وهو اختلاف قد أعصى للاستشرقين صورة سيئة كادبة من الشعر  
العربي، فحبل اليهم أنه عبر مستق ولا مؤلف، وأن الوحدة لا وجود لها  
في القصيدة، وأن الشخصية الشعرية لا وجود لها في القصيدة أبصا،  
وأنتك تستطيع أن تقدم وتؤخر وأن تصيف الى الشاعر شعر غير  
دون أن تحدد في ذلك حرجا أو حنا ما دمت لم تحل بالورن ولا  
بالقافية.

وقد يكون هذا صحيحا في الشعر الجاهلي، لأن كثرة هذا الشعر  
متحلة مصطمة، فأما الشعر الاسلامي الذي صحت نسبتة لقائمه فاما  
أنتحدى أى ناقد أن يعث به أقل عث دون أن يفهمه. وأنا أزعم أن  
وحدة القصيدة فيه بية، وأن شخصية الشاعر فيه ليست أقل ظهورا  
منها في أى شعر أحيى. إنما جاء هذا الخطأ من اتحاد هذا الشعر  
الجاهلي بمودحا للشعر العربي، مع أن هذا الشعر الجاهلي — كما قدمنا —  
لا يمثل شيئا ولا يصلح إلا نمودحا لعث القصا ص وتكلف الرواة.

وطن أن أنصار القديم لا يحالون في أن هذين البيت قلطان  
في القصيدة وهما :

وبيل كروح الحر أرحى سدوله      على أنواع اهوم لبتلى  
فقت له لما تمطى صُله      وأردف أعشارا وهاء بكل كل  
فتد وضع هذان البيت للدخول على البيت الذى يليهما وهو :  
ألا أيها الليل الطويل ألا تحلى      صبح وما الإصباح منك بأمن  
وهذان البيتان أشبه بتكلف المشطر والخمسة منهما أى شئ آخر .

فإذا فرعنا من هذا الشعر الذى لا تكاد نخف في أنه دجبل  
في القصيدة ، فقد نستطيع أن رد القصيدة الى آخرتها الأولى ، وهذه  
الأجزاء هي . أولاً وقوف الشاعر على الدار وما يتصل بذلك من بكاء  
وإعويل ، ثم ذكره أيام لحوه مع العذارى ، ثم عتبه لصاحته وما يصل  
بذلك من وصف حليته ، ثم ذكر الليل ولا سطراد منه الى الصيد  
وما يتوسل به الى اصده من وصف القرس ، ثم ذكر العرق وما يتبعه  
من السيل .

ولسرع الى القول بأن وصف النهو مع العذارى وما فيه من  
خش أشبه بأن يكون من الخيال المرردق منه بأن يكون جاهليا ، فالرواة  
يحدثون أن المرردق نرح في يوم مطير الى صاحبه البصرة فاتع آثارا  
حتى انتهى الى عدير واداه فيه نساء يستحممن ، فقال : ما أشبه هذا  
اليوم بيوم دارة حنجل ، وولى متصرفا فصاح للنساء به : يا صاحبه

العملة ، فعاد اليهن فساله وعمر من عليه ليحدثتهن بحديث دارة جليل ،  
فقص عليهن قصة امرئ القيس وأنشدتهن قوله :

ألا رت يوم لث مهين صاخ ولا سميما يوم بذارة جليل  
[الآيات]

والذين يقرعون شعر الفرزدق ويلاحظون خشه وعظته وأنه قد  
أيم على حد الفحش وعلى هذه العنطة لا يحدون مشقة في أن يصيغوا  
إليه هذه الآيات ، فهي شعرد أشبه . وكثيرا ما كان القدماء يتحدثون  
بمثل هذه الأحاديث يصيغونها إلى القدماء وهم يتحلونها من عند  
أنفسهم . ومهما يكن من شيء ، فإذ هذه الآيات كلها القصيدة كلها  
عدنايسة فرسية يمكن أن تصدر عن شاعر إسلامي اتخذ لغة القرآن  
لغة أدبية .

أما وصف امرئ القيس لخليله ، وزيارته إليها ، وتجنسه ما تنسج  
للوصول إليها ، وتجنسها الفصيحة حين رثته . وحروجهامعه وتمهيتها آثارها  
بذل مرطها ، وما كلف بينهما من شوق ، فهو أشبه شعر عمر بن أبي ربيعة  
منه بأي شيء آخر . فهذا النحو من القصص العرامى في الشعر من  
عمر بن أبي ربيعة قد احتكره احتكارا ولم يمارعه فيه أحد . ولقد يكون  
عربيا حذا أب يسقى امرؤ القيس إلى هذا الفن ويتخذ فيه هذا  
الأسلوب ويعرف عنه هذا النحو ، ثم يأتي من أبي ربيعة فيقلده فيه  
ولا يشير أحد من النقاد إلى أن ابن أبي ربيعة قد تأثر بامرئ القيس  
مع أنهم قد أشروا إلى تأثير امرئ القيس في طائفة من الشعراء

في أنحاء من الوصف . فكيف يمكن أن يكون أمرؤ القيس هو مشئ  
هذا الفن من العزل الذي عاش عليه ابن أبي ربيعة والذي كَوَّن شخصية  
ابن أبي ربيعة الشعرية ولا يعرف له ذلك ؟

وأنت إذا قرأت قصيدة أو قصيدتين من شعر ابن أبي ربيعة  
لم تكذب نفسك في أن هذا الفن فيه أسكته استكرا واستعلاء استعلا  
قويا ، وعرفت العرب له هذا . وقل مثل هذا في هذا القصص العربي  
الذي تجده في قصيدة أمرئ القيس الأخرى . « ألا تسم صابحا أيها  
الطلل البالي » . صي هذا القصص الفاحش من ابن أبي ربيعة وروح  
العزدي . ونحن نرجح إذ أن هذا «سوع من العزل إنما أصيب إلى  
أمرئ القيس ، أصابه رواية متأثرون بهذين الشاعرين للإسلاميين .

يقى الوصف ، ولا سيما وصف الفرس والصيد ، وكما نقف فيه  
موقف التردد أيضا . واللغة هي التي تصطره إلى هذا الموقف .  
«إطاهر أن أمرأ القيس كان قد سعى في وصف الخيل والصيد والسيل  
والمطر . وإطاهر أنه قد استحدث في ذلك أشياء كثيرة لم يكن مألوفة  
من قبل . ولكن أقال هذه الأشياء في هذا الشعر الذي بين أيدينا أم قاهها  
في شعر آخر صاع وذهب به الزمان ولم يبق منه إلا الذكرى ولا حبل  
مقتضيه أحدها الزواء فطموها في شعر يحدث سقوه ولقوده وأصافوه  
إلى شاعرنا القديم ؟ هذا مذهبا الذي نرجحه . ونحن نقبل أن  
أمرأ القيس هو أول من قيد الأوائد ، وشبه الخيل بالعصى والنقد



وما إلى ذلك ، ولكننا نشك أعظم الشك في أن يكون قد قال هذه  
الآيات التي يرويها الرواة ، وأذكر الظن أن هذا لوصف الذي نجده  
في المعلمة وفي اللامية الأخرى فيه شيء من ربح أمرئ القيس ، ولكن  
من يريجه ليس غير .

هناك قصيدة تالته نجرم نحن بأنها متعلقة احتمالا . وهي القصيدة  
التي يقال إن أمراً القيس أنشأها يدافع بها علقمة بن عذرة المصل ،  
وأنه أم حبيب زوج أمرئ القيس قد كتبت علقمة على روحها . وأت  
نجد القصيدتين في ديوان أمرئ القيس وديوان علقمة . فاما قصيدة  
أمرئ القيس قطعها :

حليلى مُراى على أم حبيب      نقص لآفات الفؤاد الممدب  
وأما قصيدة علقمة قطعها :

ذهبت من المحجران وكل مذهب      ولم يك حفا كل هذا التحب

ويكفي أن فرأ خدين البنين لنحس فيما رقة إسلامية طاهرة .  
على أن الظن في حاتين القصيدتين سيتأكد على أن هذين الشاعرين  
قد تواردا على معان كثيرة بل على ألقاط كثيرة بل على آيات كثيرة  
تجدها معها في انقصيدتين معاً ، وعلى أن البيت الذي يضاف إلى علقمة  
وهو ربح القصيدة يروي لأمرئ القيس ، وهو :

فأذكرهن نائياً من عيانه      يتركز الزانح المنقلب

والبيت الذي حصر به أمرئ القيس القصيدة يروي لعلقمة وهو :  
فالمسوط المبوب والمساقي ذرة      وللحر منه وقع أهوج متعب

وأنت تستطيع أن تقرأ القصصين دون أن تجد فيهما فرقا بين  
شخصية الشاعرين، بل أنت لا تجد فيهما شخصية ما، وإنما نحس أنك  
مرا كالأما غريبا مطبوعا في جميع ما يمكن جمعه من وصف النرجس  
حلمة وسحبلا . وأكبر الظن أن غلقه لم يفجر أمرا القيس، وأن  
أم حبيب لم تحكم بينهما، وأن القصصين ليست من الحظية في شيء، وإنما  
هما صيغ عالم من علماء الله سبب من تلك الأسباب التي أشرنا  
في أسكاف لمحي إلى أنها كانت تحمل علماء الأمة على الاختلاف .  
وكان أبو عسدة والأخمي ينافسان في العلم بأهل ووصف العرب  
بما . أيهما أقدر منه وأصدق به . وما نزل إلا أن هاتين القصصين  
وأنت لها أثر من آثار هذا النحو من القيس بين العلماء من أهل الأمصار  
الإسلامية المختلفة .

وحنا وفقه أخرى لا يد منها . ذلك أن أمرا القيس لا يدكر وحده  
وإما يدكر معه من أشعره سلمه - كما رأيت - وحيد من الأرض .  
فأما طائفة ولا يكاد الرواد يدكرون عنه شيئا إلا ما حربه لأمرئ  
القيس ومدحه منك من مذك سنان سانية التي مطلعها  
طعنك قلبك لثمن صرير بعيد الشارب عصف حان مشيب  
وإلا أنه كان ترتد على قريش ويأشدح شعره، وإلا أنه مات بعد  
ظهور الإسلام أي في عصر متأخر جدا، والعباس إلى أمرئ القيس الذي  
مهما يتأخر فقد مات قبل مولد النبي، والذي يرى من أنه عاش قبل  
القرن السادس وربما عاش قبل القرن الخامس أيضا .

وأما عبيد فقد اتسبأ في سيرته وما يضاف إليه من الشعر ، يعيننا على إثبات شخصية امرئ القيس وشعره فكانت الذبحة محرمة جدا . ذلك أنها انتهت ساء إلى أن يعف من عبيد وضعفه نفس الموقف لدى وقصاه من امرئ القيس وشعره . وليس عبيد في ذلك ذنب ، والرواة لا يتحدثوننا عن عبيد شيء يقل التصديق . إنما عبيد عند الرواة والنقصان شخص من أصحاب الحواري والكرامات ، كان صديقا للحق والسماء مع ، عُمر عمرا طويلا يصلون به إلى ثلاثه قرون ومات ميتة مسكرة : قتله النعمان بن المنذر أو المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه . والرواة يعرفون شيطان عبيد . واسم هذا الشيطان هيدا ، وقد حاول بمصهم أن يرسل هذا المثل : « لولا هيدا ما كان عبيد » . وقد روى لهبيد هذا شعرا وزعموا أنه أراد أن « يهم الشعر باسم عبيد فلم يوفق » . ولعبيد مع الحق أحاديث لا تحو من لذة وعجب . ولكن كل ما نقرأ من أحوار عبيد لا يعطينا من شخصيته شيئا ولا سمعت الاطمئنان إلا في أفسس العامة أو أشباه العامة .

فأما شعر عبيد فليس أشد من شخصيته وصوحا . والرواة يتحدثوننا بأنه مضطرب صانع . وإن سلام يتحدثنا في موضع من كتابه « طيفات الشعراء » انه لم يبق من شعر عبيد وطرفه إلا قصائد بقدر عشرة ولكنه يتحدثنا في موضع آخر أنه لا يعرف له إلا قوله :

أفقر من أهله ملحوبُ      فالمطياتُ والدُّنوبُ

ثم يقول ابن سلام : ولا أدري ما بعد ذلك ، ولكن رواه آخرون  
يروون هذه القصيدة كاملة ويروون أنه شعر آخري هجاء **أمري القيس**  
ومعرفته ، وفي استعطف **نجر** على **حي أسد** ، وبكى أن **شرا** هذه  
القصيدة التي قدّم مطلعها لتحريم بأنها متعلّقة لا أصل لها ، وحسبك  
أنه يثبت فيها وحدانية الله وعلمه على نحو ما يشتملها القرآن ويقول :  
والله ليس له شريك **تلاّم** ما أحفّت القلوب

فأما شعره الآخر الذي عارض فيه **أمراً القيس** وهجا فيه كيد  
فلا حظّ له من صحة فيما يعتقد . وذلك أن فيه إسدا وصعفا وسهولة  
في اللط وال أسلوب لا يمكن أن تصاف بـ **شاعر قديم** . ويمكن أن  
تقرأ هذه القصيدة التي أولها :

يادا الخوف **م** **ل** أبيه إدلالا وحيّا  
أرعت أمك قد قد **س** سرته كده ومبا

لتعرف أنها من عمل القصاص ، وأن هذا الشعر وأشابهه إنما هو  
من أثر النافس بين العصبية اليمنية والمصرية .

ولولا أن يؤثر الإيجاز والمحرص عليه لروا لك هذا الشعر ووضعنا  
لك على مواضع التوليد فيه ، ولكن الرجوع أن هذا الشعر يسيروا لكم  
عليه أيسر . وأذا فكل شعر **أمري القيس** الذي يصل شعر عبيد  
هذا متحول أيضا كشعر عبيد .

وقد رأيت من هذه الإلمامة القصيرة هؤلاء الشعراء الثلاثة :  
 (مصرى النيس وعبد وعلقة) أن الصحيح من شعرهم لا يكاد يذكر  
 وأن الكثرة المصنوعة من هذا الشعر مصبوعة لا تثبت شيئا ولا تسمى  
 شيئا بالقياس إلى العصر الجاهلي ، لا تستثنى من ذلك إلا قصيدتين  
 اثنتين لعلامة :

الأولى طحا بك قلباً للحسان طروب .  
 والثانية . هل ما علمت وما أسودعت مكتوم .

وقد يمكن أن يكون لهما من القصيدتين نصيب من الصحة مع شيء  
 من التحفظ في بعض أبيات القصيدة الثانية . ولكن صحة هاتين  
 القصيدتين لا تفسر رأينا في شعر الجاهلي . وقد رأيت أن علقة متأخر  
 العصر جداً ، وأنه مات بعد ظهور الإسلام ، ورأيت أيضاً أنه كان يأتي  
 قريناً ويعرض عليها شعره . على أنها حنظلة ، لأننا نالشك في بعض  
 أبيات القصيدة الثانية يظهر فيها التوليد ، وهي هذه الأبيات التي  
 يذهب فيها الشاعر مذهب الحكمة وصرح المثل .

## عمرو بن قَيْثَة — مهلهل — جليظة

وشاعران آخران يتصل ذكرهما بذكر امرئ القيس . كان أحدهما — فيما يقول الرواة — صديقاً له ، صحبه في رحلته في قسطنطينية ، ولم يعد من هذه الرحلة كما لم يعد امرؤ القيس . وهو عمرو بن قَيْثَة . وكان لآخر حال امرئ القيس — فيما يقول الرواة — وهو مهلهل بن رسة .

ولا بد من وقعة قصيرة عنه هذين الشاعرين فسترى بعد قليل من التفكير أن حياتهما ليست أوضح ولا أثبت من حياة امرئ القيس وعبيد ، وأن شعرهما ليس أصح ولا أصدق من شعر امرئ القيس وعبيد .

ولنلاحظ قبل كل شيء ، أن بين امرئ القيس وعمرو بن قَيْثَة شهما عربياً ، فقد كان امرؤ القيس يسمى الملك الصائِل . وهما عن هذا الاسم تفسيراً غير الذي اتفق عليه الرواة وأصحاب اللغة . قلنا إنه الملك المجهول الذي لا يعرف عنه شيء ، قلنا إنه صُلُّ بن قُل . وكانت العرب تسمى عمرو بن قَيْثَة عمراً الصائغ . فاما المتأخرون من الرواة بعد الإسلام فقد التمسوا لهذه التسمية تفسيراً فوجدوه في سهولة ويسر . أليس قد رحل مع امرئ القيس في القسطنطينية ؟ أليس قد مات

في هذه الرحلة " فهو إذا عمرو الصائم ، لأنه صاع في غير قصد ولا  
توجه . أما نحن ففسر هذا الاسم كما فسرنا اسم امرئ القيس . و نرى أن  
عمرو بن ميثم صاع كما صاع امرؤ القيس من الداء كره ، ولم يعرف من  
أمره شيء ، إلا اسمه هذا كما لم يعرف من أمر امرئ القيس ولا من  
أمر عبيد إلا اسمهم . ووضعت له قصة كما وضعت لكل من صاحبه  
قصته ، وحمل عليه شعر كما حمل على صاحبه الشعر أيضا .

قول الرواة : بن ميثم عمر طو بلا وعرف امرأ القيس وقد  
انتهت به السن إلى الحرام ، ولكن امرأ القيس أحبه واستصحبه في رحلته  
وعم شبهه . فإني إن سلام : بن أبي أنيس كانوا يدعون بعض شعر  
امرئ القيس لعمرو بن ميثم ، وليس هذا شيء ، وفي الحق أن هذا  
ليس بشيء ، وإن هذا الشعر لا يمكن أن يكون لعمرو بن ميثم كما لا يمكن  
أن يكون لامرئ القيس فهو شعر محدث محمول .

وإذا كان عمرو بن ميثم لم يعرف امرأ القيس ، إلا بعد أن تقدم  
به السن وأدركه الهرم فيجب أن يكون قد قل الشعر قبل امرئ القيس  
الذي لم تقدم به السن . والرواة يرغمون أسب ابن ميثم قال الشعر  
في شبابه الأول . وإذا تبين أن امرؤ القيس هو أول من جمع للناس باب  
الشعر . ولكن ما له تمتع عند شيء كهذا والرواة يصطرون به  
اصطرا شديدا " فهم يرغمون أن أول من قصد لمصائد المهمل بن  
ربيعة حال امرئ القيس . وكان امرأ القيس اما حاد الشعر من

قَبْلَ أُمِّهِ . ومعنى ذلك أن الشعر عدائي لا خطائي . ومن هنا نشأت  
 نظرية أخرى تزعم أن الشعر بماى كله ، بدئى ما مرئى القيس فى الحاحلية  
 وحتم ماى نُوَاس فى الإسلام . فانت ترى أما حين نقف عند مسألة  
 كهده لا نحاور المصيبة بين عدائى وخطائى . ولكن سنرى أكثر  
 من هذا بعد قليل .

قصبة عمرو بن عبسة الى برويها الرواد ليست شيئا فنيا ، وانما هى  
 حديث كبير من الأحاديث ، منهم يزعمون أن أباة تُوفى عنه طفلا فكفله  
 عمه ، ونشأ عمرو حبيلا وضى ، الطلفة فكلفت به امرأة عمه وكنمت  
 ذلك حتى اذا غاب زوجها لأمر من أمور أرسلت الى النقي ، فلما جاء  
 دعه الى نسبا ، فامنع وفاء لعمه وامتناعا عن مكر الأمر ، وانصرف .  
 ولكنها حفت عليه وألفت على أثره جفنة ، حتى اذا عاد روحها أظهرت  
 المعصب والمبط وقصت على زوجها الأمر وكشفت عن الأثر ، فعصب  
 الرجل على ابن أخيه ، وحنا يغتلف الرواة ، منهم من يزعم أنه هم سنله ،  
 فهرب الى الحيرة ، ومنهم من يزعم أنه أعرض عنه . وهما يكن من  
 شئ ، فقد اعتذر الشاب الى عمه فى شعر زوى لك منه طرفا للمس  
 بيدك ما فيه من سهولة ولين وتوليد .

حليلا لا تسعجلا أن تزودا وأن تجعلا شمل وتنظروا عدا  
 ما لستى يوما بسائق معمم ولا سرعتى يوما بسائفة الردى  
 وإن تطراى اليوم أفص لامة وتستوجبا م على وتعمدا



العمرى من نفس محمد رشيدة  
وإن طهرت منى فوارض بجمه  
على غير حرم أن أكون حبيبه  
لعمرى لعن المسرة تدعو محلة  
عظيم رماد العدر لا منعش  
وإن صرح تحل وهنت غيرة  
صرت على وطء الموائى وحطهم  
ولم يحرم حرم لحي إلا محاط

تؤامرى سوءاً لأصرم مرفدا  
ووقع من لؤمى مرارا وأصعدا  
سوى قول ماع كادى فتحهدا  
دا ما المسادى فى المعامة مددا  
ولا مؤيس منها اذا هو أوقدا  
من الریح لم ترك من المسال مرفدا  
اذا ضن ذو القرى عليهم وأنهدا  
كريم لحب ماخذ عبر أحردا

ونظن أن اسطر فى هذه القصة وفى هذه القصيدة يكفى ليقنع  
القارئ بأنا أمام نثر متعل متكلف لاحظ له من صدق . وليس  
حيث من هذه لقصيدة هـ الشعر الذى يقال إن عمرو بن فبيشة أنشده  
لمّا تقدّمت به السّن بصف به هرمه وضعفه . ولعله قاله قبل أن  
يرتحل مع امرئ القيس إلى بلاد الروم . ويزعم الشعبي ، أو من روى  
عن الشعبي أن عبد الملك بن مروان تمثّل به فى عتته التى مات فيها .  
وهو :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة  
على الراحتين مرة وعلى العصا  
رميت بسات البهر من حيث لا أرى  
فلو أن ما أرمى ببل رمينها

حملت بها غنى عنان بلحى  
أسوء ثلاثاً بعدن قيامى  
وما بال من يرمى وليس برام  
ولكنما أرمى غير سهام

أذا ما رأى الناس قالوا ألم يكن  
حديثاً حديد البرى غير ضحاهم  
وأنهى وما أنهى من الدهر ليلة  
وأنهى ما أنهى ما أنهى ملك نظامى  
وأهلكى تأمىل يوم وليلة  
وتأمىل عيم بعد داك وعام

فحين نستطيع بعد هذا أن نصيف عمرو بن هبنة إلى صاحبه  
الصائغين . ( عبيد وأمرئ القيس ) ، وأن ندخل إلى مهلهل ، نرى  
ماذا يمكن أن يثبت لنا من أمره وشعره .

فأما أمره فمن أن يسير لا سبيل إلى الاحلاف به . وجب  
أن يبلغ من السداحة خطأ غير قابل للعلم عما كان يتحدث به الرواة  
من أمر هذه القصة الطويلة العريضة : قصة البسوس . ومن أن  
الاتفاق يسير على أن هذه القصة قد طوّلت وتبّيت وعظم أمرها  
في الإسلام حين اشتد السافس بين ربيعة ومصر من ناحية ، وبين  
نكر وتغلب من ناحية أخرى . وليس مهلهل في حقيقة الأمر إلا بطل  
هذه القصة ، فقد عظم أمره وارتفع شأنه فمدار تبّيت هذه القصة  
وطول فيها . وأما نكر أن حصومة عسة كانت بين الصليين لشيفتين  
نكر وتغلب في العصور الجاهلية القديمة ، وأن هذه الحصومة قد  
انتهت إلى حروب سكت فيها الدماء وكثرت فيها القتلى ، ولكن  
أسباب هذه الحصومة ومظاهرها وأعراضها وآثارها الأدبية قد  
دحست كلها ولم يبق منها إلا ذكرى ضئيلة تناولها القصاص واستعملوها  
استعمالاً قوياً ، ووجدت نكر وتغلب وربيعة كلها حاجتها في هذا

الاستغلال . ولم لا ° ألم تكن أسوة والحلافة ومظاهر الشرف كلها لمصر في الاسلام " وكيف يستطع العرب من ربيعة أن يؤموا لمصر بهذه لسيادة وهذا المجد دون أن يثبتوا لأنفسهم في قديم العهد على أقل تقدير محدا وشرفا وسيادة ° وقد فعلوا : فرغموا أنهم كانوا سادة العرب من عدول في الحاهية كان منهم الملوك والسادة ، وكان منهم الدين دادوا التحفائية عن رند عدنان ، وكان منهم الدين قاوموا طعنان الحميين في عرق والعتاسيين في الشام ، وكان منهم الدين هرمو جيوش كسرى في يوم دى قار . لمصر إندا حديث العرب بعد الاسلام ، ولربيعه قديم العرب قبل الاسلام . هذا لاحظت الى هذا ما كان من الحصومة اعليه بين ربيعة ومصر أمامى أبيه وما كان من الحصومة الأديبة بين جرير شاعر مضر الذى يقول :

إن الذى حرم المكارم بقيت جعل السؤة والحلافة يسا  
هذا أن عمى في دمشق حليلة لو شئت سافكم إلى قطيبا  
وبين الأخطى الذى يقول :

أى كليب إن عمى لله قتل الملوك وفككا الأعلالا

قول اذا لاحظت كل هذه الحصومات لم يصعب عليك أن تتصور كثره الانحلال في الفصص والشعر حول ربيعة عاقمة وحول هانيئ القبيثين من ربيعة حاصة ، وهم بكر وتعلب . على أن بعض الرواة كانوا يظهرون كثيرا من الشك فيما كانت تتحدث به بكر وتعلب من أمر هذه الحروب .

ومهما يكن من شيء فليست شخصية مهلهل بأوضح من شخصية  
امرئ القيس أو عبيد أو عمرو بن قنينة ، وإنما تركت لها قصة  
اليسوس منه صورة هي انى الأماطير أقرب منها الى أى شيء آخر .  
ومن هنا قال ابن سلام إن العرب كانت ترى أن مهلهلا كان يتكثر  
ويذعى فى شعره أكثر مما يعمل . والحق أن مهلهلا لم يتكثر ولم يذع  
شيئا ، وإنما تكثرت نعلب فى الاسلام وعنده ما لم يقل . ولم يكتف  
بهذا الاتهام بل رعمت أنه أول من قصد القصص وأطال الشعر .  
ثم أحسنت ما يحس لأن أو أحسن الرواة أنفسهم وهو أن فى هذا  
الشعر اضطرابا واختلاطا ، فرعمت ، أو زعم الرواة ، أنه لهذا الاضطراب  
والاختلاط سُمي مهلهلا ، لأنه هاهل الشعر . والهلالة الاضطراب .  
ويستشهد ابن سلام على هذا بقول الناعة .

« أتاك تقول ههلهل السبع كاديب »

وليس من شك فى أن شعر مهلهل مضطرب ، فيه جهالة  
واختلاط . ولكننا نستطيع أن نجد هذه الهلالة نفسها فى شعر  
امرئ القيس وعبيد وابن قنينة وكثير غيرهم من شعراء العصر الجاهلى ،  
فقد كانوا جميعا مهلهلا إذا .

غير أننا لا نستطيع أن نطمئن انى أن يهلهل شعراء الجاهلية جميعا  
الشعر بحيث يصح لكل واحد منهم شخصيات شعرية مختلفة متفاوتة  
فى لقوة والضعف وفى الشدة واللين وفى الإغراب والسهولة . وإذا

من الـدى هلـهل الشعر؟ هلـله الـذير وصـعوه من القـصاص والمتـحليـن  
وأصـحاب التـافـس والحـصـومة بعـد الإـسلام .

ويـحسـ أن يـظـهـرك عـلى شـيء مـن شـعر مـهـلـل لـتـرى كـما نـرى أـنه  
لا يـمـكـن أن يـكـون أقـدم شـعر قـالـته العـرب :

أبـنـا بـدى حـسـم أـيـرى	إذا أنـت انـفـصـيت فـلا تـحـورى
وإن يك بالـدائـب طـال يـسـلى	فـعد أنـكى مـن الـلـيل القـصـير
فلو يـبـش المـقـارعـى كـلـب	لأحـمر بالـدائـب أى رـير
وبـوم الشـعـشـمـين لـقـر عـبـاء	وكـيف لـقـاء مـن تـحت القـبور
عـلى أنى تـركـت بـوارـدات	يـجـيرأ فى دـم مـثـل العـير
هـتـكت بـه بـيـوت بـنى حـبـاد	وبـعض العـنـم أنـفى للـصـدور
عـلى أن لـيس يـوفى مـن كـليب	إذا بررت مـحـاة الحـدور
وهـمام بـن مـرة قـد تـركـا	عـليه الفـشـاعـان مـن العـسور
يـسـوء بـصدـره والـرـيح فـيه	ويـجـلـحه حـدب كالـعـير
فلـولا الـريـح أـتـمـع مـن يـجـير	صـلـيل البـص تـقـرء مـالـد كـور
فـدى لـبنى شـقـيـقة يـوم جـامـوا	كأـسد العـاب بـلـت فى الزـبر
كأن رماحهم أشطان بثر	عـبـد بـن حـالـها حـرور
غـداة كـأنا وبـنى أبـنـا	مـحب عـترة رـحـيا مـدير
نـظـل أجـل مـا كـفة عـلـيـهم	كأن الحـيل تـرـحـض فى عـدير

أليس يقع من نفسك موقع الدهش أن يستقيم وزن هذا الشعر .  
وتتطرد فاقبته وأن يلائم قواعد النحو وأساليب العظم لا يشد في شيء .

ولا يطهر عليه شيء من أعراض القدم أو مما يدل على أن صاحبه هو أول من قصد القصيد وطول الشعر ؟

أليس يقع في نفسك هذا كله موقع الدهش حين تلاحظ معه سهولة اللفظ ولينه وسهاف الشاعر فيه الى حيث لا تشك أنه رحل من الدين لا يقدرون إلا على متبدل اللفظ وسوقه ؟

ولكننا لا نريد أن نترك مهلهلاً هذا دون أن نصيب إليه امرأة أحبه جليلة التي رثت كلياً - فيما يقول الرواة - نشعر لا ندرى أينطيع شاعر أو شاعرة في هذا العصر الحديث أن يأتي بأشده منه سهولة وليناً واستدالاً مع أسا نقرأ للنساء وبلى الأحيية شعراً فيه من قوة المتن وشده الأسر بما يعطيان صورة صادقة للرأفة العربية البدوية .

قالت حليمة :

يا سة الأقوام إن شئت فلا	نمحي بالدم حتى تسأل
فإذا أتت تبنت الذي	يوحب اللوم ولؤمى واعدل
إن تكن أخت امرئ لميت على	شفقي مها عليه فافعل
حل عهدي فعل حساس يا	حسرتي عما الحبل أو ينجل
فعل حساس على وحدي به	قاصم طهرى ومذب أحلى
يا قبيلاً قوص الدهر به	سقف بيتي جميعاً من عى
حدم البيت الذى استحدثته	واشئى في هدم بيتي الأول
وزمان قتله من كذب	رمية المصمى به المستاصل

• سأتى ذوكن اليوم قد حصى الدهر ررء معصل  
 حصى قنل كلب نطى من ورائى ولطى مقبل  
 لبس من يكي لبوميه كن إنك يكي اليوم يحلى

وقد أعرضنا فى كل هذه الأحاديث عن اجتماع ما نطن أن أحدا  
 يرتاب فى أنها مصنوعة متكلفة • وبعد أن قراءة هـ الشعر الذى  
 روياه نكحى لضعيف فى عبر مشقة مهلهلا وأمرأة أحيه انى ابن أخته  
 أمرئ القيس •

وقد فرعنا من أمرئ القيس ومن يتصل به من الشعراء ولكننا  
 لم نخرج من الشعراء أنفسهم • فلا بد من وقفات أخرى قصيرة عند  
 طائفة منهم • وسنبت لك هذه الوقفات أسا لنا علاة ولا مسروين إن  
 خشينا ألا يقنصر الشئ على أمرئ القيس وشعره •

## عمرو بن كلثوم — الحارث بن حِزْلَة

وعن حين بدع مهنهلا وأمرأه أحبه الى هدين الشاعرين من أصحاب المعلقة لا تخاور ربيعة بل لا تخاور هدين الحيين من ربيعة وهما حيتا بكر وتعلب . عمرو بن كلثوم تعلبي ، وهو في عرف الرواة لسان تعلب الناطق ، هو الذي سجل مدحها وأشاد بكدها في شعره ، أو عبارة أدق في قصيدته التي تروى بين المملكات . وقد كان — فيما يقول الرواة — يطلا من أنصال تعلب ورث القوة والأيد وشدة أساس وإماء انصيم عن حده مهلهل ، فقد كانت أمه ليل بنت مهلهل .

وقد أحبط عمرو بن كلثوم في مولده ونشأته بل في مولد أمه بضاعة من الأساطير لا يشك أشد الناس سداحة في أمهالون من ألوان العشت والافتحال :

رغموا أن مهلهلا لما ولدت له ليل أمر نأدها فأحقت أمها .  
ثم نام فأناه آت وتدا له بأن ابنته هذه مثله بها يكون له شأن ، فلما أصبح سأل عن ابنته فقيل وتدت فكذب وألح فأظهرت له فأمر بإحسان عدائها . ثم تزوجت كلثوما فما زالت ترى فيما يرى الناس من



يأبىها ويحرمها عن أسبا بالأعاجيب حتى ولدته ونشأته . قالوا وقد ساد  
عمرو بن كلثوم قومه ولما يتجاوز الخامسة عشرة .

فكل هذه الأحاديث التي تشير اليها إشارة ، تدل على أن عمرو بن  
كلثوم قد أحيط بطائفة من الأساطير جعلته إلى أطلال القصص أقرب  
منه إلى أشخاص التاريخ . ومع ذلك فقد يظهر أنه وجد حقا ، وقد  
يظهر أنه على خلاف من قدموا ذكرهم من الشعراء . وقد أعقب ،  
فصاحب الأعشى يتحدث بأن له غنما كان ياقبها إلى أيامه .

وسواء أكان عمرو بن كلثوم شخصا من أشخاص التاريخ أم بطلا  
من أطلال القصص ، فإن القصيدة التي نسب اليه لا يمكن أن تكون  
حادثة أو لا يمكن أن تكون كثرتها أهلية . وهل يستطيع قتل كل شيء  
أن يطعن أن ما يتحدث به الرواة من أن عمرو بن كلثوم قتل ملكا من  
ملوك الحيرة هو عمرو بن هذ المشهور ، وذلك حين نفي عمرو بن هذ هذا  
وانتهى به الطبع إلى أن طمع في أن تستخدم أمه ليلى بنت مهلهل  
أم عمرو هذا<sup>١</sup> قال الرواة : فطلعت هذ أم الملك إلى ليلى بنت مهلهل  
أن تاتوا طفقا فأحبتها ليلى . لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، فأخذت  
هذي فصاحت ليلى وأدلاء يا أعلب<sup>٢</sup> وكان ابنه عمرو في قبة الملك  
فسمع دعاءها فوثب إلى سيف فعلق فصرخ به الملك ، ومهت  
بوتعلب فهو قبة الملك وعادوا إلى نادتهم .

غير أن النص التاريخي الذي يثبت هذه القصة لم يصل إلينا بعد .  
وهل من المعقول أن يقتل ملك الحيرة هذه الفتاة ويقف الأمر عند

هذا احد من آل المدر وبنى حلب من ناحية وبن موك الفرس  
وأهل الدية من ناحية أخرى « أليس هذا لو » من الأحاديث التي  
كان يتحدث بها القصاص يستمدونها من حاحه العرب الى المقاهرة  
والناس « بنى » وقصيدة عمرو بن كلثوم نفسها نوع من هذا الشعر  
الذي كان يتحل مع هذه الأحاديث . وأنت اذا قرأت هذه القصيدة  
وأنت أن مهلهلا لم يكن يتكرر وحده وإما أورث التكرار وسكب  
سبطه عمرو بن كلثوم ، فلما تعرف كلمة تصاف الى الحاهلين وفيها  
من الإسراف والعلو ما في كلمة عمرو بن كلثوم هذه . على أن رأى  
الرواة فيها يشبه رأيهم في معلقة امرئ القيس ، فهم يشكون في بعضها  
وهم يختلفون في الأسباب الأولى منها . أفاد عمرو بن كلثوم أنه قلها  
عمرو بن عدى ابن أخت حذيفة الأبرش « فأما الذين يصيحون هذه  
الآبيات لعمرو بن كلثوم فيرون أن مطلع القصيدة

• أَلَا هَيْيَ بِصَحْبِكَ فَاصْبِحِينَا •

وأما الآخرون فيرون أن مطلعها .

• قَفِي قُلُ التَّفَرَّقِ يَا ظُعِينَا •

وأولئك وهؤلاء لا يختلفون في إطلاق عمرو بن عدى بالبيتين .

صددت الكأس عما أم عمرو وكان الكأس محراها أيم

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو صاحبك الذي لا نصيحينا

وأنت حين تمضي في القصيدة ترى فيها أبياتا مكررة تنفع في وسط

القصيدة وفي آخرها . ولكي هذا النحو من الاضطراب مشترك في أكثر

الشعر الجاهلي، مصدره اختلاف الروايات . وقد قرأت القصيدة نفسها  
فستجد فيها لفظا سهلا لا يخلو من حُرارة ، وستجد فيها معنى حسنا  
وحرًا لا بأس به لولا أن الشاعر يسرف فيه من حين إلى حين إسرًا  
ينتهي به إلى السخف كقوله :

إذا بلغ الرصيعُ له قطامًا      تجرُّه الحمارُ ساحب

وستجد فيها أحيانًا تمثل إساءة الدوى للصبي واعتزازه بقوته وأسنه  
كقوله :

ألا لا يحجَّه أحدٌ عيسا      محجَّل فوق حهل الجاهليا

قلت إن هذا البيت يمثل إساءة الدوى للصبي . ولكي أسرع فأقول  
إنه لا يمثل سلامة الطبع الدوى وإعراسه عن تكرار الحروف إلى  
هذا الحد المثل :

ألا لا يحجَّه أحدٌ عيسا      محجَّل فوق حهل الجاهليا

فقد كثرت هذبة الجنيات والمذات والامات واشتد هذا الجهل  
حتى مُلِّ ، وهم يحملون على الأعشى بيتا فيه مثل هذا النوع من التعسف .  
ولكننا نشك في صحة هذا البيت الذي يضاف إلى الأعشى .

ومهما يكن من شيء ، فإن قصيدة ابن كلثوم هذه من رقة اللفظ  
وسهولة ما يجعل فهمها يسيرا على أقل الناس حظا من العلم باللغة  
العربية في هذا العصر الذي نحن فيه ، وإن هكذا كانت تتحدث العرب  
في منتصف القرن السادس للمسيح وقبل ظهور الإسلام بما يقرب من

نصف قرن . وما هكذا كانت تتحدث ربيعة حاصه في هذا العصر  
الذى لم تسد به لغة مصر ولم تصح به لغة الشعر . بل ما هكذا كان  
يتحدث الأحنط العلبي الذى عاش في العصر الأموى أى بعد أن  
كثوم نحو قرن . وقرأ هذه الأبيات وحذنى أنظمى الى جاهليتها .

فبي قل التفرق ما طعنا	نحريك اليقين ونحبرينا
ففى نساك هل أحدثت صرما	لوشك الدين أم حبب الأيم
يوم صكرية صرنا وطعنا	أقر به موابك العيون
وإد عدا وإب اليوم رهى	وعد عد عما لا علميا
تريك اذا دخلت على حلاء	وقد أيت عيون اسكاحينا
دراعى غيطل أدماء بكر	هجان اللوب لم تقرأ حبا
ونديا مثل حق العاح رخصا	حصانا من أكف اللامسيا
ومتى لذية شمت وطالت	روادها تنوء بما ولينا
وما كمة يصبق اسب عها	وكشما قد جئنت به جنونا
وسارى بلسط أو رهام	يرن حشاش طيها رينا

واقرا هذه الأبيات أيضا :

ألا لا يسمم الأقوام أما	تصعصعنا وأما قد وينا
ألا لا يجهلن أحد عليا	مجهل فوق جهل الجاهليا
بأى مشيئة عمرو بن هـ	يكون يبيكم فيها قطينا
بأى مشيئة عمرو بن هـ	نطعم بها الوشاة وترد رينا

تَهْدِنَا وَأَوْعِدْنَا رَوْيَدًا      متى كنا لأملك مقتويث  
إِنْ قَاتَلْنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ      على الأعداء فلك أن ظييه

وهذه الأبيات :

وَعِنِ التَّارِكُونَ لِمَا يَحِطُّنَا      وعن الآخذون لما رصينا  
وَكَا الْأَيْمِينَ إِذَا التَّقِيَا      وكان الأيسرين بنو أينا  
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ      وصلنا صولة فيمن يلينا  
فَأَيُّوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا      وأبنا بالملوك مصفدين  
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ      ألتما تعرفوا منا اليقينا

وهذه الأبيات وقارب بينها وبين الأبيات الأخيرة :

وَقَدْ عَلِمَ الْقَضَائِلَ مِنْ مَعَدٍّ      ادا قُتِبَ بِأَبْطَحِهَا يُبَيَّا  
أَنَا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا      وأنا المهلكون اذا ابتينا  
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أُرْدَا      وأنا النارلون بحبث شينا  
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا حِطُّنَا      وأنا الآخذون اذا رصينا  
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِنَا      وأنا العارمون اذا عُصينا  
وَنَشْرَبُ وَنُورِدُنَا الْمَاءَ صَفْوًا      ونشرب غيرنا ككدرًا وطنينا

وهذه الأبيات :

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا      أبينا أن تقرا الذل فينا  
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا      ونبطش حين نبطش قادرينا

ملأنا المر حتى صدق عدا      وماء البحر ملؤه سقيا  
إذا بلغ الرصيع لسا قظاماً      تحزله الحبار ساحديبا

أمن من هذه القصيدة ورص قصيدة الحارث بن حلزة، وكان  
لسان بكر، فيما يقول الرواة، ومحاسنها والدائد عنها بين يدي عمرو بن هند  
أيضا . رعموا أن عمرو بن هند أصلح بين القبيلتين المتخصمتين بكر  
وتعب واتخذ منهما رهائن، فتعرضت رهائن بعلب لمعص الشر وهلكن  
أو هلك أكثرها، فتحت بعلب على بكر وطالت بذية الملك، وابت بكر،  
وكادت تستأنف الحرب بينهما، واحتدمت أشراهما إلى عمرو بن هند  
ليحكم بينهما، وأحسن الحارث ميل الملك إلى بعلب فمحص، وعتد على  
قومه وارتجل هذه القصيدة . قالوا وكان به وصح، وكان الملك قد أمر  
أن يكون بينه وبينه سار، فلما أحد يشد قصيده أحد الملك يحب  
به ويذنيه شيئا فشيئا حتى أحلته إلى حائه وقصى لكر .

ويكفي أن تقرأ هذه القصيدة لترى أنها ليست مرتجلة ارتجالا  
وإنما هي قصيدة نطمت وفكر فيها الشاعر تفكيرا طويلا ورتب أجزائها  
رتبا دقيقا . وإيس فيها من مظاهر الارتجال إلا شيء واحد هو هذا  
الإقواء الذي تجده في قوله :

فلكما بذلك الساس حتى      ملك المدرس ماء السماء

فالمعجزة كلها مرفوعة إلى هذا البيت . ولكن الإقواء كان شيئا  
شائعا حتى عند الشعراء الإسلاميين الذين لم يكونوا يرتجلون في كل

وقت . تقول إن قصيدة الحارث أمت وأرض من قصيده ابن كلثوم .  
وقد نضت في عصر واحد ، إني صح ما يقول الرواة ، فهما مسوقتان  
إلى عمرو بن هند . فافر هذه الأبيات للحارث وقارن بينهما في انقسط  
والملء وبين ما تقدم لك من شعر عمرو .

ملكٌ أصرعَ الريةَ لا يو	حد يها لما نديه كعء
ما أصابوا من نعيٍّ مطلقو	ل ، عيه إذا أصيب العماء
كتكائب قوم أذعرا الم	مدر هل يح لاس هند رعاء
أد أحل العلاء قة ميسو	ل فأدى ديارها العوصاء
فأوت له قرأصة من	ككل حى كأنهم ألفاء
فهداهم بالسودين وأمر ال	له تبع تشقى به الأشقياء
أد تمنونهم عمروا فاسا	هم ايكم أمية أشراء
لم يعزوكم عمرو ولكن	روع آل شخصهم والقضاء

واظنر انى هذه الأبيات يعبر فيها لشاعر تغلب بإعارات كانت  
عليهم لم يتصفوا لأنفسهم من أصحابها .

أعينا حُصح كئده أن يع	سم عارهم ومنا الحراء
ليس منا المصرون ولا فيد	س ولا حذل ولا الخداء
أم جنايا حى عتيق من يع	مدر فانا من حرمهم برآء
أم عليا حرى العباد كما ي	ط محور المحمل الأعواء
وتمنون من تميم بأيدي	هم رماح صدورهم القواء
تركوهم منعجين وآوا	سهاب يصم منها الخداء

أم عليا حرى حبيبة أم ما جمعت من محارب عباء  
 أم عليا حرى قضاة أم ليد من عليا فيما حوا أضاء  
 ثم طابوا يسترجعون فلم تر حج لهم شاة ولا رهراء

فأنت ترى أن بين الفصيديين فرقا عظيما في حودة اللفظ وقوة  
 المتن وشدة الأمر . على أن هذا لا يعير رأيا في الفصيديين ، فحين  
 نرجح أحدهما متعلنان . وكل ما في الأمر أن الذين كانوا يتحلون كانوا  
 كالشعراء أنفسهم يختلفون قوة وضعفها وشدة وإيها . فالذي اتحل  
 قصيدة الحارث بن زائدة كان من هؤلاء الرواة الأقوياء الذين يحسون  
 تغير اللفظ وتسيقه ويطعم الفصيد في مائة وأزيد . ولما ترزق في أن  
 بعيد ما قتاد من أن هاتين الفصيديين وما يشبههما مما يتصل بالخصومة  
 بين بكر وتعلب إنما هو من آثار التنافس بين القبيلتين في الإسلام  
 لا في الجاهلية .



## طرفة بن العبد - المتلمس

وشاعران آخرون من ربعة بقع عندهما وقعة قصيرة هما طرفة  
بن العبد والمتلمس ، واما جميعهما لأن القصص بجميعها من قبل .  
فقد رجعوا أن المتلمس كان حال طرفة ، ولم يقف جمع القصص بينهما  
عندها أخذ من قد جمعهما في الشيء القليل الذي صرعه عنهما ، ذلك  
أن لطرفة والمتلمس أسطورة لمجربها الناس منذ انقروا الأول للهجرة .  
وهم يحتسبون في روايتها اختلافا كثيرا ، ولكنا نخير من هذه الروايات  
أيسرها وأقربها الى الانسان :

رغموا أن حنين الشاعرين هموا عمرو بن هذيل حتى أحرقاه عليهما ،  
ثم ورد عليه فتفاهما لقاء حسنا وكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين  
وأوهمهما أنه كتب لهما بالخواتم والصلوات ، خروجا يقصدان الى هذا  
العامل . ولكن المتلمس شك في كتابه فأقرأه علاما من أهل الحيرة  
فاداه أمر فمثل المتلمس ، فألقى كتابه في لهر ، وألح على طرفة في أن  
يصل فعلة فأبى ، وافترق شاعران : مصى أحدهما الى الشام فحما ،  
ومضى الآخر الى البحرين فمضى الموت . وكانت طرفة حديث لسن  
لم يتجاوز العشرين في رأى بعض الرواة ولم يتجاوز السادسة والعشرين

في رأى بعضهم الآخر . وقد كثرت الأحاديث حول هذه القصة وأصفت بها أشياء أعرضنا عن ذكرها لظهور الاحتمال فيها . وعصب عمرو بن هند على المناس حين هرب إلى الشام وأملت من الموت فأقسم لا يطعم حب العراى . واتصل شقاء المناس له .

والزوجة المحققون بعدون هذين الشاعرين من المقلين . بل لم يروا ابن سلاء للمناس شيئاً ولم يسم له قصيدة . أما طرفة فقد قال ابن سلام عنه في موضع إنه هو وعبيد من أقدم الفحول ولم يبق لهما إلا قصائد بقدر عشر . واستعمل ابن سلام هذه القصائد على الشاعرين وقال إنه قد حمل عليها حمل كثير . وقد رأيت أنه حين أراد أن يصع عبيداً في طنفسه لم يعرف له إلا بيتاً واحداً . أما طرفة فقد عرف له المطولة وروى مطلعها هكذا :

لَحُولَةٌ أَطْلَلُ مَرْقَةً تُهْمِدُ      وَفَقْتُ مَا أَتَى وَأَتَى ابْنِ الْعَيْدِ  
وعرف له الرائية المشهورة :

\* أصحابك اليوم أم شاقك هر \*

وعرف له قصائد أخرى لم يدل عليها . وقال إنه أشعر الناس بواحدة . يريد المعلقة . وبين يديها ديوان طرفة يشتمل هاتين القصيدتين وقصيدة أخرى مشهورة ، وهي .

سألتوا عني الذي يعرفنا      بحرأرى يوم تحلاق اللم

ثم مقطوعات أخرى ليست بدات عناء . وأنت إذا قرأت شعر طرفة رأيت فيه ما ترى في أكثر هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين

ولا سيما المصريين منهم من مائة الألف وعرايته أحياء، حتى انقرأ  
الآيات المصلة فلا تفهم منها شيئا دون أن تستعين بالمعجم . ولكنك  
مصطرا إلى أن تلاحظ أن هذا الشعر أشبه شعر المصريين منه شعر  
الروميين . فحسن لم يجمع شعراء ربيعة عصفوا ، وإنما جمعناهم فيما تحتنا  
به اليك في هذه الكتاب إلى الآن لأن بينهم شيئا يفتقرون فيه جميعا ، هو  
هذه السهولة التي تتبع الإسفاف أحياء ، لا نستأى منهم في ذلك ، لا  
قصيدة الطارث بن حنظل . فكيف شد حنظل عن شعراء ربيعة جميعا  
فقوى منه واشتد أسره وأثر من الإعراب ما لم يؤثر أصحابه ودنا  
شعره من شعر المصريين ؟

وانظر في هذه الآيات التي يصف بها الناقة :

وإني لأمضي أهم عند احتضاره	بعوضاء مرقيل تروح وتعدى
أموي كأنواح الأزد بصائها	على لاجب كأنه طهر رحد
حمايلة وخناء تردى كأنها	سفحة تروى لأرعر أربد
سارى عتاف ناحيات واتعت	وطيما وطيماء فوق مؤرمعبد
ترعت الققي في الشول ترعى	حدائق مولى الأيمرة أعيد
تربع إلى صوت المهب وتنتقى	بدى حصيل روغات أكلف مند
كان جاسي مضرحي نكنا	حفايه شكا في العيب يمسرد

وهو يعنى على هذا النحو في وصف ناقته يصطربا إلى أن يهكر  
فيما قناه من قبل من أن أكثر هذه الأوصاف أقرب إلى أن يكون من

صعقة العداة بالذمة منه الى أى شئ، آخر . ولكن دع وضعه للدقة  
واقرا :

ولست بخلل السلاع محافة      ولكن متى يستريد النعم أرفد  
فإن تبني في حنقه القوم تلقى      وإن تغمسى في الحوايت تصطد  
متى تأتي أصحك كأثا روبة      وإن كنت عنها داعي فاعن واررد  
واب يلقي الحى الخبيث تلاقى      انى دروة البيت الشريع المصعد  
ندامى بيض كالنجوم وقينة      نوح الياس برز وجميد  
رحيب قطاب الحبيب منها روبة      نفس الدامى بضعة المنحرد  
إذا نحن قلنا أسمعنا آرت لنا      على رسلها مطروقة لم نشدد  
إذا رحمت في صوتها حلت صوم      تحاوب أطار على ربح ردى

فسترى في هذه الآيات ليد ولكن في غير صعب، وشدة  
ولكن في غير عفو، وسرى كلاما لا هو «العريب الذى لا يفهم» ولا  
هو «السوق المندل» ولا هو بالألفاظ قد رصعت رصفا دون أن تدل  
على شئ . وأمض في قراءة القصيدة فتظهر لك شخصية فويه  
ومذهب في الحياة وصح حلى : مذهب اللهو ونداة بعيد اليهامن  
لا يؤمن بشئ بعد الموت ولا بطمع من الحياة إلا فيما تنجح له من عجم  
برى من الإثم واعتار على ما كان يفهمهما عليه هؤلاء الدس :

وما زال شرابى الخمر ولدى      ويبى وإنعافى طربى ومثلى  
الى أن تخامنى العشيرة كلها      وأوردت إرداء البعير المسد  
رأيت من عبراء لا يسكروى      ولا أهل هداك الطراب المتد

ألا أهدا الراحرى أحضر الوعى      وأن أشهد اللدات حل أت مجلدى  
 فإن كنت لا تستطيع دفع مبيتى      فدعى نذرهما عما ملكت يدي  
 ولولا ثلاث حن من عبشة الفتى      وحدك لم أحيل متى قام عؤدى  
 فمن سبق العاذلات بشربة      تكيث متى ما تغل بالماء ترمد  
 وتكرى اذا نادى المصاف محسا      كسيد العص سته المنورد  
 وتقصير يوم الدخ والدخ معجب      سته تحت الحب المعمد

في هذا شعر شخصية نازرة قوية لا يستطيع من يسمعها أن  
 يرم أنها متكللة أو متحلة أو مستغارة . وهذه الشخصية ظاهرة  
 الداوة واصحة الإلحاد بينة الحرب والياس والميل الى الإماسة في قصد  
 واعتدال . هذه الشخصية تمثل رجلا فكا والتمس الخير وهدى فم  
 يصل الى شيء ، وهو صادق في يأسه ، صادق في حبه ، صادق في ميله  
 الى هذه اللدات التي يؤثرها . ولست أدري أحد الشعر قد قاله طرفة  
 أم قاله رجل آخر . وليس يعنى أن يكون طرفة قائل هذا الشعر .  
 بل ليس يعنى أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر ، وإنما الذى يعينى  
 هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال ، وأن هذا الشعر  
 لا يشبه ما قدما في وصف الناقة ولا يمكن أن يتصل به ، وأن هذا  
 الشعر من الشعر النادر الذى نثره من حين الى حين في تصاعيف  
 هذا الكلام الكثير الذى يضاف الى الحاهليين ، فحس حين تقرأه  
 ما نقرأ شعرا حقا فيه قوة وحياة وروح .

وإذا قام أريج أن في هذه القصيدة شعرا صعه علماء اللغة هو  
هذا الوصف الذي قدمنا بعضه، وث مرة صدر عن شاعر حقا هو  
هذه الأبيات وما يشهها . ولما نأمن أن يكون في هذه الأبيات  
نفسها ما دُرس على الشاعر دسا واحتمل عليه اغتالا .

فأما صاحب القصيدة فيقول الرواة إنه طرفة . ولست أدري  
أهو طرفة أم غيره " من لست أدري أجاهل هو أم إسلامي " وكل  
ما أعرفه هو أنه شاعر بدوي ملحد شاك .

ولست أحب أن أقف عند القصيدتين الأخريين ، فان شخصية  
الشاعر تستدعي فيهما استقصاء ، وتعود بهما إلى هذا الشعر الذي  
وقفتم عنده غير مرة والذي يمثل محمد لعيلة وخجرا عديم . وأكرم  
الطعن أن هاتين القصيدتين كقصيدة الحارث بن حذرة وصعدنا في الإسلام  
تخليدا لما أثر بكر بن وائل .

فلندع طرفة ونصل إلى المائس . وأمر المائس أيسر من أمر  
طرفة . فشعره يعود إلى شعر ربيعة الذي قدمنا الإشارة إليه وإلى  
ما فيه من رقة وإسفاف واستدال ، ومن غريب أمره أن التكلف فيه  
ظاهر ، ولا سيما في «قافية» فيكفي أن تقرأ سببيه التي أوتها :

يا آل نَكْجَرِ ألا يَبْه أَفْئَكُمُ طَالِ اثْوَاءُ وَثَوْبِ الْمُعْزِ مَلُومِ

لتحس تكلف الدمية . على أن حده القصيدة مصطرفة لروية  
فقد بوضع آخرها في أولها، وقد بروى مطامها

كم دون مية من مستعمل قديم ومن فلاة بها تستودع العيس

وللتلمس قصيده أخرى يس - أحوذ ولا آمن من هذه، ولعبها  
أدى منها إلى الرداءة، وهي التي مطلعها .

ألم تر أن المرء رهن مية صرغ لعاي الطير أوسوف يرتس

فلا نفس صبيًا بحافة ميتيه وموتن بها حرا وحللك أملتس

ويقول فيها :

وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا وما للمجر إلا أن يصاموا فيجلسوا

وربما كانت ميمية التلمس أحوذ ما يضاف إليه من الشعر، وهي

التي أولها :

يعترف أمي رجلا ولا أرى أحاكريم إلا ناس يتكرما

وأكرر الطن أن كل ما يضاف إلى التلمس من شعر - أو أكثره

على أقل تقدير مصنوع، العرص من صنعته تفسير طائفة من الأمثال

وطائفة من الأحبار حفظت في نفوس الشعب عن ملوك الحيرة

ومسيرتهم : في هؤلاء الأخطا من العرب وغير العرب الذين كانوا يسكنون

السواد . ولا ينبغي أن يكون شخص التلمس نفسه قد اخترع اختراعا .

تفسيرا هذا المثل الذي كان بصرب الصحيفة التلمس والذي لم يكن

الناس يعرفون من أمره شيئاً ، ففسره ، ففصص ، واستمدوا تفسيره من  
هدد لأساطير الشعنة التي أشربها اليها عزيمة .

وهذا شعراء آخرون من ربيعة كانوا يستطيعون أن يقف عندهم  
ويلد شعريهم إلى ما ينبغي فهم أن مثل ما تنبأ إليه في أمر هؤلاء  
الشعراء الذين درسناهم في هذا البحث القصير ، وبكنا كفى عما قدمنا ،  
فقد صرنا لمثل . وجيل أينا قد وصحنا وبدأ وأزل الحجاب عن  
كل ما يريد أن يقوله في موقفاً نأريه الشعر الحادي .

وبنحس لم قصد في هذا الكتاب أن ندرس الشعراء ولا إلى  
أن نحلل شعريهم ، وإنما قصدنا أن نسطر رأي في طريقة درس هذا  
الشعر الحادي وهؤلاء الشعراء ، وقد نعلم من ذلك ما كنا  
نريد . فلما نفع الشعراء شاعراً شاعراً ودرس شعريهم قصيدة قصيدة  
ومنقطوعة مقطوعة فمد يدهم لعصه في غير هذا الكتاب . ومهما  
نعمل فلن نستطيع أن ننهض به وحدها في سام وأعوام ، بل لابد من  
أن ننهض به معاً الذين يحول الحق ويسعون إليه ويصلونه .

على أما يريد أن نختم هذا السفر على حصين :

(الأولى) أن هذا الدرس الذي قدمناه ينتهي بنا إلى نتيجة إلا أن  
تاريخية صحيحة فهي فرض يحس أن يقف عنده أنا نحنون ويبحثون  
في تحفته ، وهي أن أقدم الشعراء فيما كانت تزعم العرب وفيما كان يرسم  
الرواة إنما هم يمينيون أو زيميون . وسواء أكلوا من أولئك أو من



هؤلاء ما يروى من أحادهم يدل على أن فائتهم كانت تعيش في نجد  
والعراق والحريرة أي في هذه البلاد التي تنصل بالعرب اتصالا  
طاهرا والتي كان يهاجر إليها العرب من عدد وفخض على انواء .  
وإذا فحص رجع أن هذه الحركات التي ذهبت أهل اليمن من  
حاجة وأهل حمير من ناحية أخرى إلى العراق والحريرة ونجد ، في عصور  
محمدة وسكنها لا شك تتجاوز القرن الرابع للمسيح ، قد أحدثت بهضة عفية  
وأديبه ، لما كان من اختلاط هذين العنصرين العربيين فيما بينهما ومن  
اتصالهم بالفرس .

ومن هذه النهضة نشأ الشعر أو هل ادكت تريد التحقيق ظهر  
الشعر وقوى وأصبح في أدب . وقد ذهب هذا الشعر ولم يبق لنا  
منه شيء ، إلا المدحى ، ولكن لم نكده يأتي القرن السادس للمسيح حتى  
تجاوزت هذه النهضة أقطار العراق والحريرة ونجد وتعلقت في أعماق  
البلاد العربية نحو الحجاز فاستأهلته . ومن هنا ظهر الشعر في مصر ومن  
اليهم من أهل البلاد العربية الشمالية . والشعر كما ترى يمتد قويا حين  
نصت القحطانية ربيعة ، وإنما لم يعرفه ولم يصل إليه إلا حين تعمل  
في بلاد العربية وأحدثه مصر عن ربيعة . ومن هنا نستطيع أن نقول  
إننا نعدنا بوقوف بحشنا عند هذا الحد الذي انتهبنا إليه ، ولما في شعر  
مصر رأى غير رأينا في شعر اليمن وربيعة ، لأننا نستطيع أن نؤرخه ونحدث  
أوليته تعريب ، ولأننا نستطيع أن نصل بعض قديمه دون أن نحول بيننا  
وبين ذلك عقبة لغوية عتيقة .

وإذا نحن نستطيع أن نساءف هذا البحث في سفر آخر .  
وسترى أن الشعراء الجاهليين من مصر قد أدركوا الاسلام كلهم  
أو أكثرهم ليس عرب أن يصح من شعرهم شيء كثير .

(الثانيه) أن الذين يقرءون هذا الكتاب قد يعرفون من قراءته  
في نفوسهم شيء من الأثر المؤلم هذا الشك الأدبي الذي يردده في كل  
مكان من الكتاب . وقد يشعرون ، محطتين أو مصبيين ، بأنا نعمد بضم  
نعمدا ونقصدا إليه في عير رفق ولا لين . وقد يتخوفون عواقب هذا الهدم  
على الأدب العربي عامة وعلى القرآن الذي يتصل به هذا الأدب خاصة .

لهؤلاء نقول إن هذا الشك لا يصرر منه ولا بأس به ، لأن الشك  
مصدر اليقين ليس غير ، بل لأنه قد آن للأدب العربي وعلومه أن تقوم  
على أساس متين . وحينئذ للأدب العربي أن يرال منه في عير رفق ولا لين  
مالا يستطيع الحياة ولا يصحح لما من أن يبقى متفلا بهذه الأفعال التي  
نصر أكثر مما نفع ، وتعرق عن الحركة أكثر مما تمكن منها .

ولسنا نحشى على القرآن من هذا النوع من الشك والهدم ، أما  
نحن نحالف أشد الخلاف أولئك الذين يعتقدون أن القرآن في حاجة  
إلى الشعر الجاهلي لنصح عربيته وثبت ألفاظه . مخالفهم في ذلك شد  
الخلاف لأن أحدا لم يكر عربية النبي فيما نعرف ، ولأن أحدا لم يكر أن  
العرب قد فهموا القرآن حين سمعوه تلى عليهم آياته ، وإذا لم يكر أحد  
أن النبي عربي وإذا لم يكر أحد أن العرب قد فهموا القرآن حين

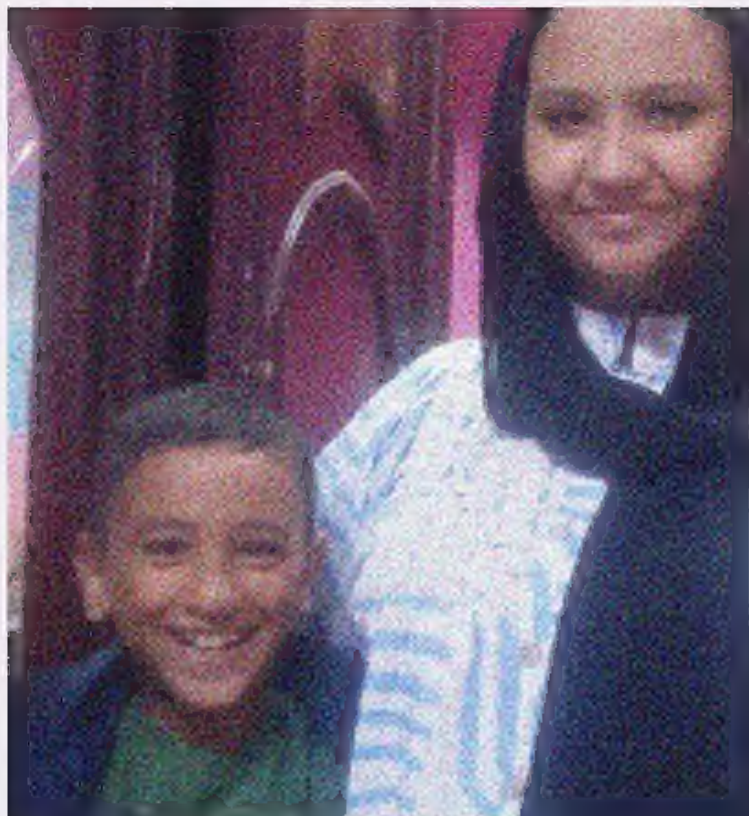
سمعه، وفي خوف على عريسة القرآن من أن يضل هذا الشعر الخاهل أو هذا الشعر الذي يضاف إلى الخاهلين<sup>١</sup> وليس بين أنصار القديم أنفسهم من يستطيع أن يبرع في أنساب المسلمين فقد احتلوا أشد الاحتياط في رواية القرآن وكأسه ودرسه وتفسره حتى أصبح أصدق نفس عربي قديم يمكن الاعتماد عليه في تدوين اللغة العربية وبهجتها . وهم - يعتمدون رواية الشعر ولم يخاصوا فيها ، بل صرفوا عنها في بعض الأوقات طائعين أو كارهين ، ولم يراجعوها إلا عند فتره من الدهر وبعد أن عيشت الفسيان والزمان بم كان قد حنط من شعر العرب في غير رتبة ولا تدوين ، فأبهم أشد إكثاراً للقرآن وإحلالاً له وتقليداً لنصوصه وإيساء عربيته . ذلك لدى يره وحده النص الصحيح المتداول لدى يستدل بعريسة القاطمة على ذلك بعريسة المشكوك فيها ، أم ذلك لدى يستدل على عريسة القرآن بشعر كان يرويه وسجله في غير احتياط ولا تحفظ قوم منهم الكذب ومنهم الخاسق ومنهم المأحور ومنهم صاحب الهوى والعبث<sup>٢</sup> .

فما عن شططه شون إلى مذهب مفتعون من الشعر الخاهل أو كثرة هذا الشعر الخاهل لا تمثل شيئاً ولا تدل على شيء ، لا ما قدمنا من العبث والكذب والافتحال ، وأناب النوحه — إذا لم يكن بد من الاستدلال بعض على بعض — إنما هو الاستدلال بخصوص القرآن على عريسة هذا الشعر لا بهذا الشعر على عريسة القرآن ما

(طبعة دار الكتب المصرية ٢٥٦' ١٩٢٦' ١٥٠٠)







**Bookkeeper<sup>®</sup>**

Deacidification for Libraries and Archives

August 2009

